



البحث الإسلامي

مجلة إسلامية شهرية جامعة

في هذا العدد

- ★ العلامة سيد سليمان الندوي
- ★ الشيخ أبو الحسن الندوي و قضايا الامة العربية
- ★ فكر بلا أصالة و نظرية بلا تطبيق
- ★ ثمرة المعاصي
- ★ موجز النظرية العامة للدعوة الاسلامية
- ★ الثقافة الاسلامية، خصائصها و مزاياها
- ★ الخبر المشهور بين الاصوليين و المحدثين
- ★ رابطة الأدب الاسلامي العالمية

مؤسسة
والنشر
تصايف

العدد الثاني

المجلد الثاني والأربعون

شوال ١٤١٧ هـ

مارس و ابريل ١٩٩٧ م

Tel : 3 72336- 73864

Regd. No. LW/NP 59

MAJALLAH ALBAAS-EL-ISLAMI (MONTHLY)

JANUARY — FEBRUARY — 1997

إصدارات جديدة :

العدد الثاني والأربعون

للعلامة الشريف عبد راحي بن فخر الدين كحني رحمه الله

أمين ندوة علماء العام السابق

قدم له:

سما الشيخ العلامة أبو الحسن علي آبي الندوي

راجع لخصوصه وخرج أحاديثه وعلق عليه:

بلال عبد راحي كحني الندوي

الناشر:

مجمع الابهام أحمد بن عرفان الشهيد لاجيا، المعارف الاسلامية

دائرة نشر، دائرة علم الشريعة، بري (بند)

قام السيد شامد حسين بالطبع في مطبعة بارك أوفست لكناؤ



الاشتراكات السنوية :

- ★ في الهند : مائة و خمسون (150) روبية :
- ثمان النسخة (15) روبية :
- ★ في العالم العربي وفي جميع دول العالم .
- 20 / دولاراً بالبريد السطحي .
- و 26 / دولاراً بالبريد الجوي .

عنوان المراسلات :

ترسل الاشتراكات بال شيك :
باسم « البعث الاسلامي »
(ALBAAS-EL-ISLAMI)
و ذلك بالعنوان التالي :
مكتب البعث الاسلامي ،
(مؤسسة الصحافة والنشر)
ندوة العلماء ص . ب 93
لكناؤ (الهند)

ALBAAS - EL - ISLAMI
C/o NADWATUL-ULAMA,
P. O. Box 93, LUCKNOW.
Pin-226 007 (INDIA)

★ المجلة غير ملتزمة
بكل فكر ينشر فيها .

حضرات أخواننا القراء !

السلام عليكم و رحمة الله و بركاته
و بعد فأحمد الله سبحانه و تعالى على هذا
التوفيق الغالي الذي أكرمنا به من الاستمرار في
خدمة العميدة و الفكر و في مجال البعث الاسلامي ،
بطريق مجلة « البعث الاسلامي » التي تجتاز
الآن عامها الثاني و الأربعين ، راجياً
من الله سبحانه أن يكرمنا بالتأييد الدائم و بروح
من الاستقامة و الصمود ، و الثبات على هذه
الجهة الدقيقة في ظروف صعبة و أوضاع متازمة
تمر بها الأمة و يتعرض لها المسلمون اليوم في
كل مكان نحو دينهم و شريعتهم و رسالتهم العالمية .
و بمجرد توفيق الله و مشيئته استطعنا أن
ندخل بعض التحسينات المطبعية في المجلة كما يراها
و يسرها القارئ الكريم ، ولا يخفى عليكم أن
تدانة المجلة قد تضاعفت كثيراً بغلاء أسعار الورق
و الطباعة و أجور العمال ، فخرجوا أن يتكرم
كل أخ كريم ببذل مجهوداته في سبيل دعم المجلة
و توسعة نطاق المشتركين الجدد فيها ، و يشاطرنا
في أداء بعض الواجب الذي نتحمله الآن ،
و يسمح لنا بزيادة قليلة في قيمة الاشتراكات .
و التحديتات تتجدد كل يوم ، و هي تنذر
بشر مستطير ، فخرجوا أن تتعاونوا معنا على كل
جهة ، و لكم شكرنا و تقديرنا .
و الله من وراء القصد وهو يهدي السبيل .

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أنشأها :

فقيه الدعوة الإسلامية الأستاذ محمد الحسن الحسني - رحمه الله تعالى -
في عام 1375هـ - 1955م

البعث الإسلامي

العدد الثاني
المجلد الثاني والأربعون
شوال المكرم 1417هـ
فبراير - مارس 1997م

رئاسة التحرير

سعيد الأعظمي
واضح رشيد الندوي

المراسلات

بعنوان مكتب البعث الإسلامي
مؤسسة الصحافة والنشر
ص.ب 93 - لكناؤ (الهند)

ALBAAS-EL-ISLAMI
C/O NADWATUL ULAMA
P.o. Box. 93, LUCKNOW
Pin : 226 007 (INDIA)

"فكرة ندوة العلماء"

تقوم في مجال الدفاع عن الإسلام ،
ومواجهة تحديات العصر ،
على الإرشاد الرباني :
« وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة »
وفي أسلوب الدعوة إلى الله ، و عرض محاسن الإسلام ،
واقناع العقول ، على التوصية الحكيمة الماثورة :
" كلموا الناس على قدر عقولهم ،
أ تريدون أن يكذب الله ورسوله " .
وفيما اختلف فيه السلف من مذاهب وقرآن ،
على التحقيق والتطبيق وإحسان الظن بهم ،
والتعاس العفر لهم وترجيح ما هو أوفق بالكتاب والسنة ،
وأقرب إلى جمع الشمل ، وأبعد عن الفرقة والتناحر ،
وأقرب إلى مصلحة الإسلام الاجتماعية ،
وبالمجلة فهي أقرب
إلى مدرسة حكيم الإسلام الشيخ عبد الرحيم
المعروف بولي الله الدهلوي ، المتوفى 1176هـ ،
العلمية والفكرية والكلامية والفقهية .
وبذلك فتدوة العلماء مدرسة فكرية شاملة ،
أكثر من مركز تعليمي يقتصر على تعليم الكتب ،
أو العلوم واللغات .
(أبو الحسن علي الحسني الندوي)
في "منهج ندوة العلماء"

المحتويات

الافتتاحية:

- ٣ • فكر بلا أصالة ونظرية بلا تطبيق!
سعيد الأعظمي الندوي
التوجيه الإسلامي:
• العلامة
سيد سليمان الندوي
- ٨ سماحة العلامة الشيخ
السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي
• الشيخ أبو الحسن الندوي
وقضايا الأمة العربية
- ١٦ الدكتور عبد الحلیم عويس
الدعوة الإسلامية:
• ثمرة المعاصي
- ٢٤ الدكتور محمد بن سعد الشويعر
• موجز النظرية العامة
للدعوة الإسلامية
- ٣٢ الدكتور عدنان علي رضا النحوي
الثقافة الإسلامية:
• الثقافة الإسلامية، خصائصها ومزاياها ٣٨
- الأستاذ محمد أحسن الله فيصل
دراسات وأبحاث:
• الخبر المشهور
- ٤٨ بين الأصوليين والمحدثين
الدكتور محمد باقر خان خاكواني
• الإمام الدارمي
- ٥٩ نبذة من حياته وصناعاته في الحديث
الأستاذ محمد جنيد الجاتكامي

من رجال الفكر المعاصرين:

- الدكتور محمد البهي
٧٠ الرجل وفكره
الدكتور محمد شاهين
قراءة في كتاب:
• الغناء في الإسلام
- ٨١ محمد مصطفى عبد القدوس الندوي
أخبار ثقافية واجتماعية:
• رابطة الأدب الإسلامي العالمية
وندوة "أدب الوصايا والمواعظ"
- ٨٧ في حيدرآباد (الهند)
• مؤتمر إسلامي كبير في الهند
حول الدعوة إلى التوحيد
والتمسك بالكتاب والسنة"
- ٩٢ مراسل "المجلة" (قلم التحرير)
• دورة تنشيطية حول تعليم
وتعلم اللغة العربية في الهند
- ٩٤ الدكتور شفيق أحمد خان الندوي
إصدارات جديدة:
• الروائع والبدائع في البيان النبوي ٩٨.
إلى رحمة الله تعالى:
الشيخ حياة حسين الندوي في ذمة الله ٩٩
قلم التحرير

فكر بلا أصالة ونظرية بلا تطبيق!

الافتتاحية:

الغرب بجميع آتاه
وأدواته ، وبكل ما يملكه من
أرصدة العلوم والصناعة وميزة
الإنتاج والإبداع ، لا يحظى

بأصالة فكر لأنه يجيد صناعة التقليد مع الإدعاء بالأصالة ، ويحسن انتقال الحضارة والعلم
والثقافة بحيث لا يخطر على بال أنه في كل ذلك مقتف آثار غيره ، وتابع رسوم من سبقوه
في العلوم والمعارف والدراسات الكونية والاطلاع على الآيات البيّنات في خلق الأرض
والسماوات واختلاف الليل والنهار ، إن الغرب كان يعيش في ظلام وهمجية ، ولم يستيقظ
من سباته العميق إلا في القرن العاشر الميلادي ، يوم كانت الحضارة الإسلامية قد أثرت
أوربا عن طريق الأندلس بعطائها الحضاري ومعطيات من العلم والصناعة ، والأخلاق ، لقد
كان الخلفاء المسلمون الذين حكموا الأندلس أسدوا إلى أهل أوربا علومًا وآدابًا وحضارة
وتمدنًا ، وعلموهم طريق الحياة وغايتها ، ولما خرجوا منها أورثوهم تراثًا إنسانيًا قيمًا ،
وتركوا لديهم ثروة غالية من المعالم والآثار الحضارية التي فتحت لهم أبوابًا نحو الانفتاح
والتقدم في مجالات الحياة كلها .

عاش الغرب الأوربي قبل الإسلام في انعزال عن ركب الحياة ، ولم يكن اعتماده في
مفاهيم العيش إلا على فلسفة مشبوهة غير واضحة ، كانت من بقايا الفلسفة اليونانية

والحضارة الرومية المادية التي لا يجد فيها الإنسان سندا لسعادة أو مكانا لكي يعيش فيه بهدوء واتزان ، إنما فسرها رجال بكسب اللذات والمتع وجلب الحظوظ النفسية ، والاغراق في المادة من غير نظر إلى المصير السيئ الذي يتمثل في نهاية الأمر في الدنيا ، دع عنك الآخرة التي لم يكن لها أي تصور لديهم ، وفسرها الآخرون بالانحياز عن جميع اللذات والمتع ، والتحرر عن كل وسيلة تُدنيهم إلى الراحة واللذة في الحياة ، فعاشوا بذلك في تناقض شديد ، ومحاربة علنية مع الطبيعة البشرية ، التي تقوم على فطرة الله التي فطر الناس عليها .

وجاء الإسلام ذلك الدين القيم الذي شن حرباً على هذا التناقض المشين الذي كانت الحياة الإنسانية تتأرجح بين جانبيه ، بين السلبية العاتية والإيجابية الفاحشة ، فمنح العالم البشري كله دستوراً متوازناً يخلد مع الأيام وينقذ الإنسان من عذابه النفسي والجسدي الذي كان يبعث عليه الشقاء والتعاسة من غير هوادة ، ويجعل حياته بين شقي الرحي ، ونقله (الدين القيم) من الوثنية المنتنة التي كانت تنطلق من الفلسفات المادية التي فرضت عليه عبادة الأوثان ظناً منها أنها هي الطريق الوحيد نحو السعادة المزعومة ، نقله إلى رحاب العلم والثقة والعقيدة والإيمان ، وشرح له مفاهيم كل ذلك بأسلوب مقنع ، و واقع إيماني يتولى خروجه من الفصام انكساراً إلى الاعتصام بحبل الله ، واستبدال العداوة والبغضاء بالمودة والإخاء ، والخوف الشديد من النار التي كان واقفاً على شفا حفرتها ، وتلك هي النعمة التي أنعم الله سبحانه بها على الإنسان بل العالم البشري الذي كانت النظرات المادية والفكرة الوثنية تبتلعه ، وتعبث بكرامته ، ولقد صرح الله تعالى بذلك في قوله : ﴿ وانكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداءً ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته إخواناً ، وكنتم على شفا حفرة من النار فأنقذكم منها ﴾ .

هناك فشلت الفلسفة اليونانية في منح العالم البشري شيئاً يساوي كرامته ومكانته ، وأخفقت في توجيه الهدوء والسعادة نحو المجتمعات الإنسانية بعد ما وزعت أهلها بين طبقات عالية ومختارة ومتوسطة ودانية وسافلة وفاقة كل معنى من معاني الإنسانية إلا في

الشكل والهيكل الجسدي ، ولقد اقتفى الغرب خطوة بخطوة فكر اليونان وحضارة الرومان وقلدهما في المفاهيم التي لم تكن تمت إلى الواقع بأي صلة ، وكانت تخلو من كل أصالة وواقعية ، فأدى ذلك الغرب إلى التقليد والتبعية ، وبالتالي إلى الانهيار والذوبان ، والهبوط إلى الدرك الأسفل من الرذائل والسباق في الاعتناق بها ، ومن ثم كان في نصيب أهل الغرب اليوم أن يرحبوا بكل ما يدعو إلى الإباحية والتعري من لباس الحشمة والحياء ، والانضمام إلى نوادي الأفاكين الشذاذ وممارسة كل خطيئة وكل جريمة مما يتندى له جبين الحياء ويدخل المرء من أجله في عداد البهائم والسباع ، وما أصدق ما صورته كتاب الله تعالى حيث قال : ﴿ لهم قلوب لا يفقهون بها ، ولهم أعين لا يبصرون بها ، ولهم آذان لا يسمعون بها ، أولئك كالأنعام بل هم أضل ، أولئك هم الغافلون ﴾ .

ذلك هو الغرب المقلد التابع الذي اشترى بضاعة الإغريق والرومان الكاسدة بثمن بخس دراهم معدودة ، ولم يكن له فيها نصيب من الأصالة ، ودخل الفكر الإسلامي في عقر داره على حين رقدة منه وأيقظه فأسدى إليه معروفاً حينما أكرمه بزاز كريم من عطائه الحضاري والعلمي ، هو ذلك الغرب الذي يريد أن يجزئ الحسنة بالسيئة ، وينكر فضل الإسلام عليه ، بل إنه يحاول أن يُشوّه صورة الحضارة الإسلامية ويستبدل أساسها العقدي والإيماني بالمحسوسات المادية والآلات العقلانية ، ثم يوجهها إلى العالم الإسلامي ويؤكد له أن السعادة التي يبحث عنها العالم اليوم إنما تكمن في تقليدها وتنفيذها في الحياة ، بصرف النظر عما جناه الغرب من أجل هذه الحضارة التي تنتمي إليه ، من سوءات وهنات ، ومن جرائم بشعة ورذائل خلقية حولت الغرب إلى جحيم لا تطاق ، وأذاقت أهله والمقلدين له من العذاب والشقاء ما الله به عليم : ﴿ ولنذيقنهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون ﴾ .

إن قادة الفكر الغربي الذين يناوؤن الإسلام والمسلمين والعالم الإسلامي رأوا أولاً أن يوجهوا إلى الإسلام تهمة الرجعية ، زاعمين أن العالم البشري المتقدم إلى الامام بخطوات

حديثة في ميادين العلم والتقنية سوف يتلقى هذه التهمة ويكره الإسلام الذي يريد أن يرجع عقارب الساعة إلى الوراء ، ويعوق الإنسان عن التقدم والإتساع والانفتاح في العالم الحديث ، ولكنهم أخفقوا في هذه المكيدة ، وذهبت تهمة الرجعية أدراج الرياح دون أن يكون لها تأثير حتى في المجتمعات المادية ، ثم بدا لهم أن يجربوا مكيدة أخرى ضد الإسلام فأحدثوا أخيراً مصطلح "الأصولية" التي تعني الإلحاح على الالتزام بالقديم البالي مهما تقدم الزمان وتطور العلم وتجددت المفاهيم والطرق ، ورغم أنهم أشد الناس تمسكاً بالقديم إلا أنهم خصصوا المسلمين الملتزمين بالشريعة والعقيدة بأن يدعوهم بالأصوليين ، ولا يعنون بذلك إلا الذين يعرفون سير العلم ولا يحددون عن الدرب القديم الذي ألفوه ، ويبدو أن هذا التدبير الخاطي يؤديهم كذلك إلى الفشل فيما يحاولون أن يحققوه ضد الإسلام والمسلمين.

ولم يكتفوا بهذا العمل المشؤم ، وإنما جاؤا من قبلُ بنظريات مضادة نحو شريعة الإسلام والكون والإنسان ، فلم يدخروا وسعاً في تبرير مفهوم الربا باسم "الفوائد" وتنظيم العلاقات التجارية بطرق لا تخلو من الربا في أي حال ، ويكون عامل هدم كبير لمعنوية المسلمين ومكانة العالم الإسلامي ، وأتوا بأمور منكرة تسبب التشكيك في العقيدة والشريعة وحول صلاحية تعاليم الإسلام للحياة المعاصرة ، واختاروا لتحقيق هذا الهدف أدوات وآلات حضارية وأدخلوها في البيوت والمجتمعات بحكمة ، ولا شك أن كثيراً من الأسر والمجتمعات تأثرت بفعل هذه الأدوات وتباعدت الشقة بينها وبين الفضائل والنزاهة التي تتميز بها الحياة الإسلامية .

لقد بذلت أوروبا بفلسفتها الحضارية ونظرتها المادية الراجعة جهوداً من كل نوع في إذابة الشخصية الإسلامية التي صنعها الإسلام ورسالته الخالدة ، وحاولت تغيير النهج الإسلامي للحياة بنهج مادي لا يهتم فيه الإنسان إلا المادة التي يسعى وراءها بجميع طاقاته ويضع كل وسائله في جمع المال والمتع والزخارف ، والحصول على المناصب والكراسي التي سرعان ما تزول ، وذلك ما نشاهده اليوم في كل مجتمع مادي أو دولة تقوم على أساس النفع

العاجل ، ولا غرو فإن الطبيعة المادية التي اصطنعها الغرب ، وجعلها أساس كل نشاط وحياة ، لا تنتج إلا التهافت على كل ما فيه لذة أو منفعة ، وأن المرء لن يتوصل إلى رغائبه ولذاته المادية العاجلة ما لم يتنازل عن مكانته المشرفة ووظيفته الفطرية ، وفي ذلك من ذوبان الشخصية ما لا يخفى على البصير الواعي ، ومعلوم أن أوروبا بفلسفتها الغربية المادية لم تبخل بالتنظير المادي للكون والحياة والإنسان ، والرؤية إليها من خلال المنظار المادي الخالص ، ولكنها لم تنجح في تطبيق هذه النظرية على الحضارة الإنسانية التي أبت إلا أن تقوم على أساس من فطرة الخالق القاهرة ، ليس غير .

أما فكرة فصل الدين عن الدولة فقد اتجه بها قادة الفكر الغربي وزعماء الحضارات المادية إلى العالم الإسلامي والمجتمعات المسلمة من قديم ، ولكنها باءت بالفشل في تضليل الرأي الإسلامي العام ، وخداع الجماهير المسلمة ، غير أنها لا تزال موضع اهتمامهم ، يستعملونها كسلاح تارة وكعلاج لضعف المسلمين تارة أخرى ، فيما يزعمون ، وقد أوجدوا لتأكيد هذه الفكرة المادية وتأصيل جذورها إلى طبقات المسلمين في الأقطار الإسلامية مصطلحاً باسم "العلمانية - SECULARISM" ولعلمهم أرادوا به تدارك ما فاتهم من تعميم فكرة الفصل بين الدين والدنيا ، وما واجهوه من رفض طبقات المسلمين ، وقد أصبح هذا المصطلح وسيلة لجمع المسلمين على كلمة الديمقراطية ، وإقرارهم فعلاً بالفرق بين الدين والدولة ، وبأن لا دخل للدين في السياسة ، وأنه ليس عائقاً عن ممارسة أي نشاط سياسي بالحياد ، وهو لا يتعرض لأهل السياسة والحكم في شئونهم السياسية بأي حال ، وما ذلك إلا أسلوباً من المغالطة لا يخفى على الناس .

ومن ثم نستطيع أن نعرف بكل وضوح وثقة أن الفكر الغربي لا أصالة له مطلقاً لأنه لا ينبع من الفطرة ، كما أن نظرتة نحو الحياة والإنسان والكون نظرة مادية لا تتفق وطبيعة الكائنات التي خلق الله سبحانه وتعالى كل كائن عليها ، فليس إذن إلا أن يسود الإسلام وتحكم الشريعة وتعلو كلمة الله ، ولقد صرح الله تعالى بأن الإسلام إنما هو الدين ، فقال : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾ وقال : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين ﴾ .

العلامة سيد سليمان الندوي

لم يكن العلامة سيد سليمان الندوي من كبار المؤلفين في "السيرة النبوية" لعصره فحسب ، بل كان من أبرز المؤلفين في السيرة والتاريخ الإسلامي بكامله ،

وقد كان من مزاياه أنه
وسّع نطاق السيرة من
سرد الأحداث وبيان
الشُمائل ووصف
العادات ، إلى الرسالة

[لقد كتب هذا المقال سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي ، إسهاماً منه في ندوة علمية عقدتها جامعة الرشاد بمدينة أعظم كره (الهند) حول شخصية وحياتة العلامة سيد سليمان الندوي - رحمه الله - ، وقد القى المقال سماحته في إحدى جلسات الندوة ، ننشره تعميماً للنفع ، وإفادة للقراء الكرام] التحرير

المحمدية والتعليمات النبوية والشريعة الإسلامية ، وبحث شعبها المختلفة ، وبهذا المنهج المنفرد الموسّع الذي سلكه أستاذه العلامة "شبلي النعماني" في المجلدين الأولين للسيرة النبوية ، وسلكه العلامة سيد سليمان الندوي في المجلدات الخمسة الباقية ، أصبح الكتاب موسوعة للسيرة لا يوجد لها نظير في أي لغة من لغات المسلمين في العالم .

وكان من منجزاته أيضاً أنه حقق بالسيرة والتاريخ أهدافاً لا تتحقق إلا بعلم الكلام ، فأسس علم كلام جديد يفوق علم الكلام القديم في التأثير على الذهن الجديد وإقناعه ، وفي توثيق الثقة بالشخصية النبوية والشريعة الإسلامية ، وهو أكثر سداداً للحياة العملية المعاصرة .

أما كتابه "خطبات مدراس" ، الذي نقل إلى العربية باسم "الرسالة المحمدية" (١) ، وصدرت عدة طبعات له من مصر وسورية ، فهو من أقوى الكتب في السيرة وأروعها في جمال التعبير ، وبتّ حلاوة الإيمان ، وتوثيق

الصلة بذات النبي ﷺ ، والكتاب عصاره مكتبة كاملة في السيرة النبوية ، وهو هدية ثمينة لغير المسلمين والمتقنين المسلمين ، والباحثين عن الحق ، للتعريف بالإسلام ، ولعرض سيرة النبي ﷺ بإيجاز وأسلوب مقنع مؤثر ، وقد صدرت عدة ترجمات إنجليزية له ، وأحدثها الطبعة التي أصدرها المجمع الإسلامي العلمي بلقنأؤ الهند باسم : (Muhammad the Ideal Prophet) .

يعرف العلامة سيد سليمان الندوي عادة في الأوساط العلمية كمؤرخ وأديب ، ولكنني أعتقد أن موضوع اختصاصه الذي يتجلى فيه ذوقه الطبيعي هو القرآن الكريم وعلم الكلام ، ويدل على هذا الاتجاه المجلدان الرابع والخامس من "سيرة النبي" ﷺ ، اللذان يعالجان منصب النبوة والعقائد والعبادات والأخلاق بزواوية جديدة ودراسة مقارنة .

إن سيد سليمان الندوي يستحق بدون مرأء أن يعدّ أكبر مؤرخ وباحث لعصره ، وإن كتبه "خيام" و "عرب وهند كے تعلقات" (الصلات بين الهند والعرب) ، و "أرض القرآن" و "عربون كي جهاز راني" (الملاحه عند العرب) ، و "الإمام مالك - رحمه الله" ، و "سيرة عائشة - رضي الله عنها" خير نماذج للكتابة في التاريخ والبحث العلمي ، وكتابه "أرض القرآن" لا يزال كتاباً فريداً لم ينسج على منواله في موضوعه ، وهو ثروة غنية في المواد العلمية .

وبالنظر إلى هذه المؤلفات القيمة يمكن أن يصدر الحكم بأن شخصاً واحداً في بعض الظروف ينجز من أعمال علمية هائلة لا تستطيع الأكاديميات الكبيرة إنجازها ، وقد كتب شاعر الإسلام العلامة محمد إقبال ، الذي كان بدوره عالماً كبيراً للفلسفة والعلوم الشرقية ، في رسالة له : (إن سيد سليمان الندوي يفجر من الصخرة ينبوعاً من العلم ، ويمتلك ناصية العلوم الإسلامية) .

كان من مزايا شخصية سيد سليمان الندوي : الجامعية والشمول في المعرفة والبحث ، فقد كان خبيراً بالعلوم القديمة والعصرية ، وكان مؤرخاً وأديباً وناقداً ومحققاً ، وبجانب ذلك كان فقهياً ومحدثاً في آن واحد ، وبالإضافة إلى هذا الاشتغال والشغف بالبحث العلمي كان من كبار القادة لحركة تحرير البلاد والانتفاضة السياسية للمسلمين ، فكان يرأس اجتماعات وحفلات أدبية ولغوية ، ويرأس مجالس فقهية ودينية تضم العلماء ، وكان أحد أعضاء وفد حركة الخلافة الذي توجه إلى إنجلترا برئاسة رئيس الأحرار مولانا محمد علي في عام (١٩٢٠م) ، لشرح مشاعر المسلمين إزاء قضية الخلافة على المسؤولين البريطانيين والمثقفين وقادة الفكر في بريطانيا ، وترأس أيضاً وفد الخلافة الذي اشترك في المؤتمر الإسلامي الأول ، الذي دعا إليه الملك عبد العزيز بن سعود في عام (١٩٢٦م) ، وكان أحد الأعضاء الثلاثة للوفد الذي توجه إلى أفغانستان بناءً على دعوة نادر خان ملك أفغانستان لإعداد خطة جديدة للتعليم في أفغانستان ، وكان العضوان الآخران في الوفد الدكتور محمد إقبال ، والسير رأس مسعود نائب رئيس الجامعة الإسلامية بعلي كره .

وقد انتقل في آخر حياته - قبل انتقاله نهائياً إلى باكستان - إلى إمارة بوفال ، وشغل مناصب رئيس القضاة وأمير الجامعة الأحمدية ، والمستشار للشئون الدينية ، ومكث هناك أربع سنوات ، ثم اشترك في إعداد الدستور لجمهورية باكستان الإسلامية ، وقام بإرشاد هذا البلد الفتى دينياً .

ومن مآثره الأخرى أنه أحرز قدم سبق ونال الاعتراف به في ميدان لغة البلاد وأدبها ، وصدرت بقله السيال وفكره الغزير مقالات وخطب وبحوث علمية أشاد بها النقاد وأساتذة اللغة الأردية والأدب الأردني ، لغزارتها العلمية وسعة المطالعة ، وعمق النظر ، ويعتبر كتاب "نقوش سليمانني" خير

نموذج لها ، وبذلك رد علمياً التهمة الشائعة بأن علماء الدين لا يستطيعون أن يسايروا ركب اللغة والأدب السيار ، وأنهم لا يستطيعون التعبير عن أفكارهم إلا باللغة القديمة ، وبذلك فإنه أنقذ الدعوة الإسلامية والتعبير الديني من خطر التخلف والجمود ، وغض البصر عن العهد الجديد والطبقة المثقفة العصرية .

إن الذين يتابعون تاريخ العالم العلمي والفكري والديني ، ويعرفون أغواره وأنجاده ، يعرفون أن فجوة هائلة وقعت أحياناً في تاريخ الأمم والملل بين خبراء العلوم القديمة والطبقة العصرية المثقفة والعصر المتجدد ، وأدت هذه الفجوة إلى عزل الدين والأخلاق عن موضع التأثير والنفوذ ، وعاش المجتمع في فجوة من سيطرتها ، فأصبح العلم والسلطة كالفيل الهائج ، وأصبحت الحياة كالجمل المرسل حبله على غاربه ، وكانت هذه الفجوة مصدر صراع شديد نشأ في القرون الوسطى ، في أوروبا بين العلم والدين ، وقد وصف هذا الصراع الكاتب الشهير (DRAPPER) في كتابه المعروف "الصراع بين الدين والعلم" (CONFLICT BETWEEN RELIGION & SCIENCE) :- وقد مرت أوروبا بتلك القرون المظلمة (DARK AGES) التي

قام فيها محاكم التفتيش ، وصدرت أحكام قاسية على الباحثين ، وقد وصف مؤلف أوربي وهو يذكر فظائع هذه المحاكم أن عدد قتلاها يزيد عن عدد قتلى الحرب العالمية الكبرى ، ولكن لم يحدث مثل هذا الصراع بين رجال الدين ورجال العلم في الإسلام ، ولم تقع مثل هذه الفجوة في تاريخ الأمة الإسلامية ، ويرجع الفضل في ذلك إلى أمثال هؤلاء العلماء الذين كانوا يتصفون بالجامعية والبصيرة العلمية والذهن الوقاد ، والذين شعروا بتغيير الزمن وتابعوا المسائل المستحدثة ، وعرفوا ذهن الجيل الجديد ونفسيته ، وفهموا اللغة المتطورة للبلاد والأساليب البيانية وقاموا برعايتها ، فأنقذوا الجيل الجديد من تيارات

العلم والأدب والبحث والتحقيق ، فطواها بنجاح وتوفيق ، كذلك كان يبحث عن مرب حكيم وموجه بصير ، يبصره بغوائل النفس ومواقع الضعف في طبقة العلماء والمنشغلين بالعلم والتأليف ، ويسهل له الوصول إلى مرتبة الإحسان والتزكية (٢) ، وإن قصته ومشاعره الداخلية في ذلك كانت - إلى حد كبير - كالتي نشاهدها في حياة الإمام حجة الإسلام الغزالي ، فإنه لما بلغ ذورة الفضل والكمال والشهرة العلمية ، بدا له ما كان يشتغل به من اجتهاد علمي وفكري كسراب ، وخرج من بغداد في البحث عن معين العلم الحقيقي واليقين والمعرفة ، وعاد موفقاً قد نهل وعلّ .

وكان العلامة سيد سليمان الندوي يمتاز من بين أقرانه بهمة عالية وولع شديد بتحقيق منجزات علمية ، وكان يقبل على إكمال كتاب يبدأ تأليفه كأنه أحب وآخر عمل يقوم به في حياته ، فكان يركز عليه جلّ عنايته ، يبذل فيه كل جهوده ، ويطلع مئات ، بل وآلاف من الصفحات لأجله ، ويجمع المعلومات ، ويحضّر المواد ، ثم يستخدمها وينتفع بها في إخراج هذا الكتاب أو البحث ، وما كاد ينتهي من عمل حتى يبدأ بعمل آخر ، بدلاً من أن يأخذ قسطاً من الراحة ، ويروح نفسه من التعب والعناء ، الذي لاقاه في البحث والتحقيق ، وكان يشتغل به بنفس النشاط والرغبة ، وقد أثر ذلك في صحته ، فتعرض لأمراض مضمّنة وضعف وإعياء شديد ، وهو لا يفتر ولا يستريح ، ويبقى مشغول الخاطر بالموضوع الذي يبحث فيه أو يستعد له ، شأن من استأسره العلم وملك عليه مشاعره وتفكيره وملاً منه كل فراغ .

وكان مما ميزه الله به ، سعة النظر واتزان الفكر ، وكان في ذلك نصيب للبيئة التي تلقى فيها تربيته العلمية والفكرية ، وفضل لتوجيه الأساتذة

التشكيك والإلحاد والمروق . وتستحق أسماء العلامة شبلي النعماني ، وتلميذه الرشيد العلامة سيد سليمان الندوي ، وبناء ندوة العلماء وأساتذتها الفضلاء ، من بين علماء هذا العصر ومؤلفيه بأن تكتب بماء الذهب في هذا الميدان ، إنها لمأثرة دينية علمية كبرى . ويطول الاستشهاد بمقتطفات من كتابات سيد سليمان الندوي التي تنم عن مدى اهتمامه وشعوره بهذا التغيير ومدى رعايته لهذا الجانب في مؤلفاته ، وخاصة في كتابه السيرة النبوية وشرح العقائد الإسلامية .

أعتقد أنه لم يكن في العلماء المعاصرين ، وعلى الأقل في خريجي المدارس الدينية في الهند من عاش معركة العقل والقلب ، والقديم والجديد ، والشرق والغرب ، والدين والأدب ، أو الدين والفلسفة مثل ما عاشها أستاذنا العلامة الذي كان من خريجي درا العلوم ندوة العلماء ، ومؤلف "سيرة النبي" ، وسياسياً خبيراً ، وأديباً بصيراً ، تجول في أوربا ، وكان قد سقى شجرة العلم بنبعه الفياض ، واستظل بظلها الظليل سنين طويلاً ، وتناول موضوع التاريخ ، وتحدث عن فلسفة مد العلم وجزره ، وتطوره وانحطاطه ، ولكن قلبه السليم وروحه الوثابة كانت تشهد - وإن كان تلاميذه والمعجبون بعلمه وكتاباته لا يقرون بأنه كان في حاجة إلى مزيد جديد - بأنه لم ينهل بعد من نميره الصافي الفياض ، وكانت مؤلفاته وخاصة "خطبات مدراس" : "الرسالة المحمدية" ، و "سيرة النبي" ، و "سيرة عائشة" قد أذكت في قلوب آلاف من الناس شعلة الإيمان ، فذاقوا حلاوته ، ولكن همته البعيدة وعزمه وطموحه كان يحثه على البحث عن تلك المنزلة التي عبر عنها الحديث الشريف بالإحسان ، والقرآن الكريم بالتزكية .

وكما أنه وجد مرشداً وموجهاً ، مثل العلامة شبلي النعماني ، في طريق

والمربين الذين استفاد منهم . فلم يكن فيه تزمّت فكري ، أو عصبية مذهبية ، أو جمود علمي ، شأن كثير من العلماء في عصره وقبل عصره . وكان بريئاً من ضحالة علمية ، وتسرع في الحكم ، وانبهار بالحضارة الأوروبية ، كالطبقة المثقفة الجديدة ، بل كان واسع النظر ، رحب الصدر ، محباً للوسطية والاعتدال في كل شئ من آرائه العلمية إلى مذهبه الفقهي ، ولو لم يكن كذلك لواجه حرجاً وعنقاً في كثير من المناسبات ، وفي صحبة الزعيم الهندي الكبير مولانا محمد علي في وفد الخلافة إلى إنجلترا ، وفي حضوره للمؤتمر الإسلامي في مكة المكرمة وسفره إلى أفغانستان ، وصلاته بالجامعة الإسلامية في عليكره ، والجامعة المليية الإسلامية في دلهي ، والمجامع الأدبية واللغوية والعلمية في أنحاء الهند التي كان فيها موضع احترام وإجلال وتقدير واعتراف .

كان سيد سليمان الندوي ربع القامة ، مائلاً إلى القصر ، له وجه مشرق ، تلوح عليه أمارات الهدوء والسكينة ، ويعلوه الوقار والرزانة ، له لحية كثة مستديرة ، وجبين واسع زاهر ، ممتلئ الوجنتين ، واسع العينين تشفان عن ذكاء وحياء ، أزج الحاجبين ، رقيق الشفتين ، نقي اللون بين سمرة وبياض ، نظيف الملابس دائماً ، لا يراه الناس قط في وسخ وتبذل ، ملتزماً للعمامة في الأسفار والمجامع ، مقلاً من الكلام ، كثير الصمت ، دائم الفكرة ، امتزج العلم بلحمه ودمه ، فلا يعني إلا به ، ولا يتحدث إلا عنه ، مديم الاشتغال بالمطالعة والبحث ، دائم المذاكرة للعلماء في العلم والدين ، سلس القريحة ، سائل القلم في التأليف والتصنيف ، ليست الخطابة في المجامع العامة والخوض في السياسة من طبعه وذوقه ، فلا يتقدم إلى ذلك إلا متكلفاً أو مضطراً ، راسخاً في العلوم العربية وآدابها ، عالي الكعب ، دقيق النظر في علوم القرآن وعلم

التوحيد والكلام ، واسع الاطلاع ، غزير المادة في التاريخ وعلم الاجتماع والمدنية ، منشئاً صاحب أسلوب أدبي في اللغة الأردية ، كاتباً مترسلاً في اللغة العربية ، شاعراً مقللاً في اللغتين مع إحسان وإجادة ، حليماً صابراً ، يقهر النفس ، ويتسامح مع الأعداء والمعارضين ، ضعيف المقاومة في شئونه الشخصية ، يتحمل ما يرهقه ويشق عليه .

وبقي مشغولاً بالذكر والعبادة ، والتربية والإفادة ، إلى أن وافاه الأجل في غرة ربيع الآخر سنة ثلاث وسبعين وثلاث مائة وألف هجرية (١٩٥٣م) في كراتشي ، وحضر جنازته كبار العلماء وأعيان البلاد ، وسفراء الحكومات الإسلامية والعربية ، ودفن بجوار الشيخ شبير أحمد العثماني (٣) .

الهوامش :

- (١) نقله إلى العربية الأستاذ محمد ناظم الندوي .
- (٢) تتلمذ العلامة لإكمال هذا الجانب من حياته المليئة بالأشغال العلمية والتأليفية على العالم الرباني والمصلح الكبير الشيخ أشرف علي التهانوي (المتوفى ١٣٦٢هـ) وحاز ثقته وشهادته بالإخلاص والنبوغ .
- (٣) مقتبس من كتاب "نزهة الخواطر" المجلد الثامن للعلامة السيد عبد الحي الحسني ، والقطعة المقتبسة هنا بقلم نجل المؤلف أبي الحسن الندوي .

والفعل - محمد رسول الله - ، فحملوها إلى العالم ، وقاتلوا الذين أوصدوا الأبواب في وجهها ، وقد آمنوا بأنهم مبتعثون (٢) ومكلفون ومأمورون من الله بهداية الأمم ، وإنقاذ العالم ، وإخراج الناس من عبادة العباد إلى عبادة الله وحده ، ومن ضيق الدنيا إلى سعة الآخرة ، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام (٣) .

هذا الدور العربي الذي يرتبط بعربية القرآن لغة ، وعروبة محمد ﷺ نسبا ، وقيام العرب بالرسالة خير قيام حتى بلغوا بالرسالة إلى تخوم الصين وأعماق الهند ، وإلى جبال البرانس في أسبانيا وما بعدها .. يدفع كل مخلص للإسلام إلى حب هؤلاء القوم الذين شرفهم الله واختارهم ، فحملوا الرسالة وبلغوا الأمانة .. كما يدفعه إلى استنهاض همم هؤلاء العرب ودعوتهم - بكل طرق الدعوة - إلى أن لا يخونوا الرسالة ، ولا يكونوا شر خلف لخير سلف ، وأن يدركوا أن مجدهم وشرفهم وتمكينهم في الأرض وحب المسلمين في العالم لهم .. كل ذلك مرتبط بارتباطهم بهذه الرسالة وحملهم لرايتها وذودهم عنها ، لأنها رسالة لا تقف عند جيل ، ولا تنتهي عند حدود مكانية ، ولا ترتبط بطائفة عربية أو إسلامية دون طائفة .. بل هي مرتبطة بالعرب المسلمين كلهم بالدرجة الأولى ، وبالمسلمين غير العرب بالدرجة الثانية ..

ومن تمام هذا المعنى الديني الإسلامي في فكر الشيخ أبي الحسن الندوي ، أن (ختم الرسالة) وانقطاع الوحي من السماء إلى الأرض منذ وفاة الرسول ﷺ وكمال الدين : ﴿اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً﴾ [سورة المائدة ، الآية : ٣] ، يقضى أن يكون هناك حملة دائمون لراية السماء التي تركها نبي الله ﷺ خاتم الأديان أمانة في عنق أمته ، وهذا من لوازمه أن تكون هذه الأمة كلها - إلى يوم القيامة - "أمة الدعوة" فكانها

الشيخ أبو الحسن الندوي وقضايا الأمة العربية

للكوثر عبد الخليل عويس - القاهرة

ينطلق العلامة الشيخ أبو الحسن علي بن الشيخ عبد الحفي (١) بن السيد فخر الدين الحسيني ، المعروف بأبي الحسن علي الحسيني الندوي (نسبة إلى ندوة العلماء دار العلوم بلكنائ) .. ينطلق في حبه للعرب ، واهتمامه الكبير بقضاياهم من مجموعة من الحقائق الدينية والحضارية والعرقية ..

* ففي مكة المكرمة ظهر الإسلام ونزل القرآن على خاتم الأنبياء والمرسلين النبي العربي الأمي محمد بن عبد الله - عليه الصلاة والسلام - ، ثم حملت المدينة المنورة الراية ، حتى عم نور الإسلام الجزيرة العربية ، ثم انطلق الإسلام إلى العالم يحمله العرب - بالدرجة الأولى - فانتشرت أشعته في أرجاء المعمورة - فمن هنا .. من الأراضي العربية التي قدسها الله تحقق خلاص البشرية ، وتم سعد الإنسانية كلها ، مقترنا ومرتبنا ارتباطا عضويا بسعد الأمة العربية ، ونزل الوحي الأول على محمد العربي القرشي الهاشمي ، فولد العالم من جديد ، وعاشت الإنسانية من جديد ، واكتشف العالم كل ما كان قد فقدته وجهله من الحقائق الثابتة ، والمعاني الكريمة والأخلاق النبيلة والغايات الرشيدة ، والعلم الصحيح والإرادة الخيرة ..

* لقد كان للعرب - بدون ريب - دور كبير - بفضل الإسلام - في اكتشاف طاقاتهم وأعماق نفوسهم ، فجاهدوا ونجحوا إلى حد كبير في الارتفاع إلى مستوى الرسالة السامية التي جاءهم بها القرآن الكريم ، وبلغها - بالقول

الإسلام ، دين كل الأنبياء ، بعد انقطاع الوحي وختم النبوة .. لأنه ليس من المعقول ولا من العدل أن يترك الله البشرية بلا وحي سماوي صحيح يضع لها الموازين القسط ، ويقدر الله حق قدره ، ويرسم طرائق عبادته ، وطرائق معاملة الناس لبعضهم وفق ما يرضيه سبحانه وتعالى !! " كانت بعثة هذه الأمة ، الفريدة في إيمانها ، الفريدة في ثقافتها ، الفريدة في سيرتها وخلقها ، الفريدة في رحمتها للإنسانية ، الفريدة في بساطتها وجديتها ، الفريدة في اتصالها بالأسرة الإنسانية وتأملها لواقع الإنسانية الذي كانت تعيشه في كل بقعة من بقاع الأرض ، كانت تجربة جديدة ، كانت هذه البعثة الجماعية ، البعثة التي انخرط في سلكها العرب كلهم ، فأصبحوا روادًا ، وأصبحوا حملة رسالة ، وأصبحوا حملة المشعل ، فأحدث هذا تحولًا في التاريخ " (٥) .

إن هذا المعنى المتألق في فكر الشيخ أبي الحسن ، والذي نجده ماثلاً في كثير من مؤلفاته التي تطرق فيها للعرب ودورهم ، بينما هو معنى ديني إسلامي ، هو كذلك معنى حضاري .. فالإسلام دين وحضارة في نسيج واحد ، وهذه الوظيفة السامية التي يربط الشيخ الندوي العرب بها تعدّ أكبر بواعثه للاهتمام بقضاياهم ، فكأنه - وهو يتابع قضاياهم من منظوره الإسلامي - يدفعهم بكل ما يستطيع لكي يعرفوا حقيقتهم ويكتشفوا ذاتهم ، ويستأنفوا دورهم ، ويقودوا المسلمين المبعثرين في الأرض - أقليات وأكثريات - للعودة الرشيدة الفاعلة إلى الإسلام ، إنقاذًا لأنفسهم من واقعهم الأسيف ، وإنقاذًا للبشرية التي خسرت الكثير جدًا بسبب انحطاط المسلمين ، هذا الانحطاط الذي كان النتيجة المباشرة لترك العرب لموقعهم القيادي ، وانشغالهم بالتزلف والصراع القبلي والجنسي على السلطان ، ولو لا استبدال الله بالعرب المارقين أقوامًا آخرين مثل الأكراد أبطال حطين ، والمماليك أبطال عين جالوت ،

وهي تؤمر بالافتداء بنبيها والتأسي به - تؤمر - في الوقت نفسه ، بالثبات على الدعوة لدين الإسلام .. وارثة للنبوة !!
لقد أرسل الله نبيه محمدًا ﷺ في الجزيرة العربية وبعثه بعثة نبي ، ولكن بعثته - كما يقول العلامة الندوي - كانت بعثة مقرونة ببعثة أمة ، بخلاف كثير من بعثات الأنبياء ..

إنها كانت بعثة ثنائية !!

وهذا ما لا يفطن له كثير من المتأملين في القرآن الكريم !!

"وإنني - والحديث للشيخ الندوي - في دراسة مقارنات الديانات وللكتب السماوية ، لا أجد هذا الوصف الدقيق الشامل ، وهذا الخط الفاصل بين أمة وأمة ، أمة قلّدت مسئولية ليس فوقها مسئولية إلا مسئولية النبوة فقط ، فكانت بعثة النبي محمد ﷺ بعثة مقرونة مشفوعة مرتبطة ببعثة أمة ، هذا هو الشيء الذي أثر في مصير الإنسانية ، وكانت تجربة جديدة في تاريخ الديانات ، وفي تاريخ مصائر الأمم وفي تاريخ الاتجاهات " (٤) .

* وقد أخذ الشيخ هذا المعنى الطيب .. "معنى ابتعاث الأمة كلها ، عربية أولاً ، وإسلامية ثانيًا" من قوله عليه الصلاة والسلام لبعض الصحابة : "إنما بعثتم ميسرين ، ولم تبعثوا معسرين" .. ولم يقل لهم الرسول : "إنما بعثت" ، مقصرًا الضمير على نفسه .. كما أخذه الشيخ كذلك من قوله رباعي بن عامر لرستم قائد الفرس : "لقد ابتعثنا الله" بهذه النسبة الكريمة الجامعة للابتعاث ، وبهذا الضمير الجماعي الإسلامي (!!) هذا بالإضافة إلى الآيات الكريمة التي يؤخذ منها معنى التكليف الجماعي للأمة : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ﴾ وأيضًا : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطًا لتكونوا شهداء على الناس ﴾ فالأمة الإسلامية كلها ، والعرب قاداتها بالإسلام ، مبعثة إلى يوم القيامة بدين

كانت رائدة للإنسانية في القرن السابع وما بعده من القرون ، ولا تزال رائدة للرسالة الإسلامية الإنسانية في هذا القرن ، لو عرفت قيمتها ، ولو عرفت منابع قوتها ، ولو عرفت ضخامة رسالتها ، ولو عرفت عظم مسئوليتها ، فمتى تنهض الأمة العربية الإسلامية وتحمل الرسالة من جديد والنور الوحيد وهو نور الإسلام ، وهو النور الذي لا يزال عند العرب في صفحات القرآن وفي صفحات السيرة النبوية ، وإنما أبناء القارة الهندية ، ننظر إلى هذه الجزيرة كأمة رائدة وكحاملة لهذه الرسالة" (٧) .

- وبالإضافة إلى هذا الباعث الإسلامي الحضاري ثمة باعث نفسي وعضوي آخر يدفع الشيخ الندوي للاهتمام بالدووب بالقضايا العربية ..

- فالشيخ أبو الحسن علي بن أحمد المعروف بعبد الحمي بن السيد فخر الدين الحسيني ينحدر من سلسلة النسب الكريم الذي ينتهي إلى أمير المؤمنين الراشد الرابع ، عن طريق السيد محمد الثاني بن أبي محمد عبد الله الأشقر ابن السيد محمد صاحب النفس الزكية ، بن عبد الله المحض بن الحسن المثنى بن الإمام الحسن بن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - (٨) .

وفي محيط مثل المحيط الهندي بطوائفه الهندوسية واللايدينية ، وتموجاته العرقية والفكرية ، يقف (الوعي بالذات) و (الحفاظ على الهوية الروحية والحضارية) دافعاً قوياً للتمسك بالجزور ، فكيف إذا كانت الجزور سامية تحمل معها رسالة حضارية شامخة ، وليست مجرد نزعنة عنصرية أو عرقية يراد من التشبث بها تحقيق استعلاء عنصري أو مكانة اجتماعية أو امتيازات طبقية أو جنسية ..

إن الانتماء الشريف إلى آل البيت لم يكن هذا قط في وعي الأسرة الحسينية الندوية ، بل كان نسيجاً آخر مختلفاً كل الاختلاف ..

لكن مصير الحضارة الإسلامية الزوال !! إنه فراغ هائل ذلك الذي تركه العرب ، وتركه بالتالي المسلمون ، حين تركوا - كأمة - رسالتهم الجماعية الإسلامية التي كلفهم الله بها .. وتخبطوا في عالم الأفكار يلتقطون أيديولوجيات من الشرق أو الغرب .. لقد سقطوا - بل انخطوا - كأمة كان من الواجب أن يتخذها الناس مثلاً وقدوة للأمم .. الأمم التي لا يمكن أن تتحول عن طريق النماذج الفردية ، لأن الأمم لا تحسب للأفراد المبعثرين حساباً ، خصوصاً وأن بعض الصالحين يوجدون في كل أمة وكل دين ..

"إنما تتطلع الشعوب إلى شعب مثالي ، إلى شعب قائد ، قائد الإنسانية ، شعب يمتاز عن الشعوب الأخرى في متانة العقيدة وقوتها ، وفي روح الإيثار والتضحية ، وفي البساطة في المعيشة وفي التسامى على الشهوات والأنانيات ، لا يستهويهم الشئ الذي يستهوى هذه الشعوب رغم سيادتها وقيادتها ، ورغم تقدمها في الثقافات وفي الفلسفات وفي العلوم" (٦) .

* إن جريمة العرب في حق الإسلام - حين يتخلون عن رسالته - جريمة جماعية ، ذلك لأن بعثتهم بعثة جماعية ، هكذا كانوا منذ نزل القرآن يطلب منهم أن يحافظوا على شروط (خير أمة) .. وحتى اليوم فما زال العرب ، ومن خلفهم المسلمون ، مدعوين للعودة إلى رسالتهم العامة وابتعائهم الجماعي لملاء الفراغ العالمي الكبير ..

وبتحديد دقيق ، وانطلاقاً من حبه الكبير للعرب ، ومن وعيه بحقيقة مكانتهم يتوجه الشيخ الندوي بخطابه إلى العرب مشيراً إلى الفراغ العالمي ودور العرب في ملئه قائلاً في محاضرة ألقاها في جامعة الإمارات العربية : "إن هذا هو الفراغ الوحيد الموجود الآن في خارطة العالم الإنساني ، ولا يملأ هذا الفراغ إلا المسلم ، ولا تملأ هذا الفراغ إلا الأمة العربية الإسلامية .. لقد

بالمسئولية تجاه الإسلام والعروبة المؤمنة ، وبالتالي فقد تجرد من كل أوزار السلبات العرقية العنصرية ، بل إنه - في تصوري - قد حل لنا - من خلال تجربة - .

(يتبع)

الهوامش :

(١) الشيخ عبد الحفي الحسني والد العلامة أبي الحسن الندوي : هو مؤرخ الهند الأكبر ومن كبار العلماء في القرن العشرين ، ومؤلف موسوعة تاريخ علماء الهند الكبرى "نزهة الخواطر" (الإعلام بمن في تاريخ الهند من الأعلام) التي كتبت بالعربية في ثماني مجلدات ، وتضم نحو خمسة آلاف ترجمة ، ومؤلف كتاب : "الثقافة الإسلامية في الهند" و "تاريخ غجرات" و "تذكرة شعراء أردو" وغيرها ، (انظر العلامة السيد عبد الحفي الحسني نشر دار الشروق بجدة [ط/١] ١٤٠٣هـ) .

(٢-٣) هذا المعنى تكرر كثيراً في فكر الشيخ الندوي ، بل نستطيع القول إن شخصية ربيعي ابن عامر التي رددت هذه المعاني شخصية بارزة في فكر الشيخ الندوي .. انظر على سبيل المثال كتابه : "العرب يكتشفون أنفسهم : ص/١١-٢١ ، وما بينهما طبع الجمع الإسلامي لكتاؤ - ١٩٨٠م" وانظر : ماذا خسر العالم بالمحطات المسلمين ، والإسلام والحضارة الإنسانية .

(٤) الإسلام والحضارة الإنسانية - أبو الحسن الندوي ، دار القلم : ص/٢٠ (الكويت) .

(٥) الإسلام والحضارة والإنسانية - أبو الحسن علي الندوي : ص/٢٢ .

(٦) الإسلام والحضارة الإنسانية - أبو الحسن علي الندوي : ص/٢٣ .

(٧) المكان السابق : ص/٢٧ . (٨) ورد نسبه كاملاً في سيرة السيد أحمد الشهيد

عرفان الدين بتأليف الشيخ أبي الحسن علي الندوي نفسه منقولاً من كتب الأنساب والوثائق التاريخية المحفوظة في مكاتب الأسرة الحسينية ، كما ورد في كتاب : الدكتور

السيد قدرة الله الحسيني عن : "العلامة السيد عبد الحفي الحسني : ص/٧٤-٧٥ نشر دار

الشروق بجدة [ط/١] ١٤٠٣هـ" . (٩) انظر العلامة السيد عبد الحفي الحسني : ص/٧٦ .

ولقد كان هذا النسب الكريم الذي يملأ الشعور به كيان أفراد الأسرة سبيلاً للحفاظ على الخصائص العرقية والإسلامية وانتقالها من بطن إل بطن عبر القرون ..

وقد كان أفراد الأسرة يشعرون بأنهم - كما يذكر الدكتور السيد قدرة الله الحسيني (٩) - حماة للعقيدة الإسلامية الصحيحة من التوحيد الخالص ونبذ العقائد الشركية وما أكثرها في محيط المجتمع الهندي .. وكانوا يشعرون بأن عليهم أن يعتنوا عناية زائدة بالعلوم الدينية دراسة وتعليماً ونشراً ..

وبأنهم يجب أن يكونوا السابقين في مجال الغيرة على الإسلام والحماس في الدفاع عنه ، والقيام بتحركات عسكرية وحركات جهادية إذا اقتضى الأمر ذلك ..

وكانوا يجاهدون في سبيل أن يكون في الأسرة علماء ربانيون متبعون لكتابه وسنة رسوله وسيرة السلف الصالح من هذه الأمة ، فلم تخل فترة من فترات هذه الأسرة من وجود علماء ربانيين وشيوخ مربين ..

وكان من خصائص الأسرة - أيضاً - الابتعاد عن مناصب الحكومة والوظائف الرسمية ما أمكن ، والقناعة بالميسور .

ومنها البعد عن استخدام الذكاء في تحقيق المآرب الدنيوية ، فيغلب على أفراد هذه الأسرة - في غالب الأحوال - الرداعة ، وما عبّر عنه لسان النبوة (الغرّ الكريم) فهم يصلحون ليكونوا مظلومين أكثر مما يصلحون ليكونوا ظالمين .

وهكذا أصبح هذا الشعور العرقي شعوراً بناءً إيجابياً مستولاً ، بل طريقاً لمزيد من المزج بين الإسلام والعرب في مركب واحد ، وأصبح شعوراً مرتبطاً

ثمرة المعاصي

قلم : سعادة الدكتور محمد بن سعد الشويهر

رئيس تحرير مجلة "البحوث الإسلامية" - الرياض

يقول الله سبحانه عن أعمال بني إسرائيل : ﴿ إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم وإن أسأتم فلها ﴾ [سورة الإسراء ، الآية : ٧] ، ويقول تعالى في سورة فصلت : ﴿ من عمل صالحاً فلنفسه * ومن أساء فعليها وما ربك بظلام للعبيد ﴾ [٤٦] ، ذلك أن الجزاء من جنس العمل ، إن عمل صالحاً وجد نتيجة حسنة ، وثمره مرضية ، وإن عصى وعاند ، وجد ثمرة ذلك جزاء وفاقاً .

فالإنسان عند ما يتمعن فيما حوله ، فإنه يجد لكل عمل ثمرة ، ولكل جهد نتيجة ، فالنباتات كلها تثمر ولكن منها ما لثمرته فائدة ظاهرة للإنسان ، ومنافع يحس بها ، ومنها ما لثمرته منافع خاصة لا يدركها إلا من أعطاهم الله فطنة في هذا الأمر ، وتبصرة في الحكمة التي أرادها الله من وجود هذا النوع من النبات ، ومنها ما يكون ثمره جيداً وطيباً بحسب المجهود الذي بذله القائم على رعاية هذا النبات ، والاهتمام به ، ومنها ما أصله جيد ، ولكن الثمرة خرجت رديئة وقليلة الفائدة ، لقصور هذا القائم على شئون هذا النبات وكسله ، فتراه يندم عند جني الثمار ، ولات ساعة مندم ..

كما أن لبعض الثمار فوائد لا يدركها الإنسان العادي ، حتى لو بذل في سبيلها جداً ، وإنما يدركها المتعمقون إما في الطب ، وإما في الأغذية ، وإما في البيطرة ، لما يتعلق بالحيوانات ، وإما في غير ذلك من شئون الحياة .

ولئن كان بعض الناس يتوقع بعض الثمار عديمة الفائدة ، فإن الله سبحانه أودع في الإنسان فطنة ومعرفة ، نتيجة العقل الذي هو هبة من الله ، فيدرك في بعض الأزمنة ، وبالقدرة والموهبة التي أفاء الله بها عليه ، أن بعض الكائنات تظهر ثماراً ، وتبرز منها بعض الحقائق التي تختلف لدى البشر من جيل إلى جيل ، ومن مكان إلى مكان ، وهذا من حكمة الله سبحانه ، وعدله في خلقه الذي جعل لكل شئ سبباً .

والحيوانات هي الأخرى من ثمرتها التكاثر والنماء بالتوالد ونوعيات السلالات ، ليستمر النوع ، وتتم فائدة الإنسان منها بذلك ، وكذا الطيور وسائر الكائنات التي أوجدها الله على وجه الأرض ، لمصلحة ابن آدم ، وتمام منفعتة ، كل ذلك جاء لحكمة أرادها الله جلّت قدرته ، وليمتحن بها الإنسان في شكر ما أفاء الله عليه من هذه النعم ، التي أوجدها الله من أجله ابتلاء وامتحاناً ، بين الشكر والكفر ، وبين العرفان بحق الله عليه في ذلك ، أو جحوده كما قال قارون في سورة القصص ، غروراً منه وجحداناً لنعمة الله عليه : ﴿ إنما أوتيته على علم عندي ﴾ فكانت ثمرة معصيته الله ، أن خسف الله به وبداره الأرض : ﴿ فما كان له من فئة ينصرونه من دون الله وما كان من المنتصرين ﴾ [سورة القصص ، الآيات : ٧٦-٨٣] .

ويسوق الله وقائع في كتابه الكريم ، لذوى القلوب النيرة تبرز دور الشكر ، وثمره المعصية ، ففي سورة النمل ، يقول سبحانه حكاية عن نبيه سليمان بن داود -عليهما السلام- في قصته مع بلقيس ملكة سبأ : ﴿ فلما رآه مستقراً عنده ﴾ قال هذا من فضل ربي ليبلوني أأشكر أم أكفر * ومن شكر فإنما يشكر لنفسه * ومن كفر فإن ربي غني كريم ﴾ [سورة النمل ، الآية : ٤٠] .

فكان الابتلاء بالحسن ، وليس بالكثرة ، لأن الحسن يتم بالعلاقة مع الله وجدانياً ، وقوة الإيمان الذي موطنه القلب ، وصفاء العمل بالنية الصادقة ، وهذا بعكس الرياء والنفاق ، الذي قد يكثر معه العمل ، ولكنه لم يكن مقصوداً به وجه الله ، فتكون ثمرة ذلك العمل الكثير الحسرة والندامة وسوء الجزاء ، وقد بين الله ثمرة هذه المعصية بقوله سبحانه : ﴿ وقد منّا إلى ما عملوا من عمل فجعلناه هباءً منثوراً ﴾ [سورة الفرقان ، الآية : ٢٣] .

ولئن أوردنا مقارنة بالنتائج في النباتات والكائنات المحسوسة في حياة البشر ، إلا أن الإنسان بتكاثره وتواصل أجياله ، يختلف عن سائر الكائنات على وجه الأرض ، ومهمة كل نوع منها في الحياة ، ذلك أن الله قد شرف الإنسان ، ورفع قدره بالعقل ، وهذا العقل استوجب أن يكون حامله وهو الإنسان مكلفاً بالأوامر ، ومخاطباً بالتشريعات الربانية ، لأنه خلق على وجه الأرض لمهمة أكبر من الحرص على إعمارها وزراعتها ، فكان المعاقب على المعصية في الدنيا بما يدعوه للتدبير والرجوع كندير لمن لديه إحساس وتبصر ، وفي الآخرة بما يجده محضراً ، والله سبحانه لا يظلم العباد ولكنهم يظلمون أنفسهم .

فابن آدم خلق لأجل عبادة الله وطاعته ، ومهمته في الحياة تبليغ ما وصل إليه من شرع الله إلى بقية البشر على وجه الأرض ، وخلق الله ما حوله لمنفعته ، وإعانتته على أداء ما أوجب الله عليه ، فبحسن طاعته ، وصدق عمله تزيد ثمرة الأشياء من حوله ، ويجعل الله فيها البركة ، كجزء عاجل من الله له على حسن استجابته ، ونقاوة عمله ، وبالعكس ذلك تحصل الثمرة السيئة ، لأن من زرع حصد ، يقول سبحانه : ﴿ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا

فنتيجة الطاعة لله ، والاهتمام بشرعه الذي شرع لعباده يجعل الله لذلك ثمرة ظاهرة في النماء والبركة لما حول الإنسان حيث تتكاثر الحيوانات والطيور ، وتنمو سائر المخلوقات الحية ، وتزدهر النباتات بثمارها ونمائها ، لتتلاءم مع الشكر لهذه الطاعات ، باستجابة هذا الإنسان للمهمة التي أرادها الله جلّت قدرته له ، وتهيئة ما يعينه على إعمار الأرض والعيش على ظهرها ، لأن الله خلقه لمهمة عظيمة وهي عبادته وطاعته ، واستخلفه في الأرض لمعرفة الدور الذي يقوم به ، يقول سبحانه : ﴿ ولقد أهلكنا القرون من قبلكم لما ظلموا وجاءتهم رسلهم بالبينات وما كانوا ليؤمنوا كذلك نجزي المجرمين ﴾ ثم جعلناكم خلائف في الأرض من بعدهم لننظر كيف تعملون ﴿ [سورة يونس ، الآيتان : ١٣-١٤] .

فالقرون الأولى قبل أمة محمد -ﷺ- ، كل من ظلم نفسه بالشرك بالله ، ومعصية رسل الله ، وجدوا ثمرة هذا العصيان بالهلاك والإبادة ، يسوق الله أخبارهم عبرة لهذه الأمة ، حتى لا تنساق لمثل ما سار فيه أولئك ، فكانوا خلائف في الأرض لسابقيهم كامتحان لهم بالعمل ، فإن أحسنوا كانت لهم الحسنى وزيادة ، وإن أساءوا فعلى أنفسهم جنوا .

وجاء في الحديث الذي رواه ابن خزيمة ، فيما يرويه رسول الله ﷺ عن ربه في الحديث القدسي : " ابن آدم خلقتك لأجلى فلا تلعب ، وخلقك كل شئ لأجلك فلا تتعب " ، وفي هذا اختبار لحسن استجابة الإنسان : كيف يعمل فيما أعطى ، وكيف يؤدي حق الله عليه ، كما قال سبحانه في سورة الملك : ﴿ الذي خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملاً وهو العزيز الغفور ﴾ [سورة الملك ، الآية : ٢] .

ولذا فإن الإنسان إن قصد بعمله وجه الله، ونوى بقلبه طاعة أمره سبحانه، بنية صادقة وإخلاص في العمل، فإنه يلقي ثمرة طيبة لهذا العمل تعود عليه بالنفع والمصلحة الظاهرة، مثلما يحصل للطالب المجد بعد خروج النتيجة، والتاجر الحريص بعد جني ثمار الربح، حيث ترتاح النفوس، وتنشرح الصدور، فيجد هذا الإنسان ثمرة عمله الذي قصد به وجه الله توفيقاً في الدنيا، وتسهيلاً من الله للأمور التي كانت مستعصية عليه، أما في الأخرى فقد وعده الله الجزاء المدخر، كما أخبر سبحانه في قوله الكريم: ﴿ووجدوا ما عملوا حاضراً ولا يظلم ربك أحداً﴾ [سورة الكهف، الآية: ٤٩].

يقول بعض السلف ما أذنبت ذنباً إلا رأيت أثره عاجلاً في خلق دابتي، وتصرفات أهلي وولدي، وما ذلك إلا أن الإنسان المدرك لحقيقة أوامر دين الإسلام، وما فيه من توجيهات للعمل بالخير، والابتعاد عن الشر، يضع كل أمر أمام عينيه، ويتخوف من النتيجة السيئة، نتيجة سقطات اللسان، وعثرات بعض الأعمال، وقلبه وجل من محقرات الذنوب.

فالفلاح مثلاً إذا أحسن النية، وأدى ما لله عليه من حق، وتحرى النزاهة في عمله، والحلال في مطعمه ومشربه، فإنه يدرك ما يطمئن نفسه، ويريح بدنه، بأن عمله وجهده في زراعته قد حظيت بالقرة الطيبة، والنتيجة المربحة، مع البركة في العمل، وبالعكس ذلك لو أساء النية، ولم ينزه أعماله من الدنسى، ولا مطعمه ومشربه من مسارب الحرام، لأن هذه أمور كلها معاصي حذر منها الله ورسوله ﷺ، فإن ثمرة هذه الأعمال لا تسر ولا تفرح، بل هي منقّمات عليه في الدنيا وحسرة في الأخرى، فالأول حظي بالثمرة الطيبة، والثاني لم يجن من سوء عمله إلا سوء النتيجة.

عليهم بركات من السماء والأرض * ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون * فأمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا بياتاً وهم نائمون * أو أمن أهل القرى أن يأتيهم بأسنا ضحى وهم يلعبون * فأمنوا مكر الله فلا يأمن مكرًا إلا القوم الخاسرون ﴿ [سورة الأعراف، الآيات: ٩٦-٩٩].

قال ابن كثير في تفسيره: يخبر تعالى عن قلة إيمان أهل القرى الذين أرسل فيهم الرسل: ﴿ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا﴾ أي آمنت قلوبهم، بما جاء به الرسل، وصدقت به واتبعوه، واتقوا بفعل الطاعات وترك المحرمات ﴿لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض﴾ أي قطر السماء، ونبات الأرض، قال تعالى: ﴿ولكن كذبوا فأخذناهم بما كانوا يكسبون﴾ أي ولكن كذبوا رسلهم فعاقبناهم بالهلاك على ما كسبوا من المآثم والمحارم، ثم قال تعالى مخوفاً ومحذراً من مخالفة أوامره والتجرؤ على زواجه بأن يحل بهم بأسه ونقمته وقدرته عليهم، وأخذوا إياهم في حال سهوهم وغفلتهم، قال الحسن البصري: ولهذا: فإن المؤمن يعمل بالطاعات وهو مشفق وجل خائف، والفاجر يعمل بالمعاصي وهو آمن.

[تفسير ابن كثير: ٢/٢٠٤].
فالإنسان ثمرة أعماله على ضربين: نافع وضار، كالتاجر إما ربح أو خسارة.. فالنافع هو الذي تكون نتيجته لصالحه عاجلاً أو آجلاً، لأنه أطاع بذلك أمر الله وأمر رسوله، فكان مستجيباً، وللمستجيبين الحسنى، كما قال تعالى: ﴿للذين استجابوا لربهم الحسنى﴾ [سورة الرعد، الآية: ١٨]، وأما الضار فهو ما يجئ نتيجة عمل هذا الإنسان السيئ، وسمي سيئاً لأنه يخالف أمر الله، وأمر رسوله ﷺ فتعود الثمرة على صاحبه رديئة سيئة.. لأن من أساء فإنما أساء على نفسه، والله مبرأ من الإساءة.

أنت كنت مع رسول الله ﷺ ليلة وفد الجن ، قال : أجل ، قلت : حدثني كيف كان شأنه ؟ فقال : إن أهل الصفة أخذ كل رجل منهم ، رجل يعشيه ، وتركت فلم يأخذني أحد منهم ، فمر بي رسول الله ﷺ فقال : من هذا ؟ فقلت : أنا ابن مسعود ، فقال ﷺ : " ما أخذك أحد يعشيك ؟ " فقلت : لا ، فقال ﷺ : " فانطلق لعلي أجد لك شيئاً " قال : فانطلقنا حتى أتى رسول الله ﷺ حجرة أم سلمة - رضي الله عنها - ، فتركني قائماً ، ودخل إلى أهله ، ثم خرجت الجارية ، فقالت : يا ابن مسعود إن رسول الله ﷺ لم يجدك عشاءً فارجع إلى مضجعك ، قال : فرجعت إلى المسجد فجمعت حصباء المسجد فتوسدته ، والتفتت بثوبي ، فلم ألبث إلا قليلاً ، حتى جاءت الجارية فقالت : أجب رسول الله ﷺ ، فاتبعتها وأنا أرجو العشاء ، حتى إذا بلغت مقامي ، خرج رسول الله ﷺ ، وفي يده عسيب من نخل فعرض به علي صدري فقال ﷺ : انطلق أنت معي حيث انطلقت ، قلت : ما شاء الله ، فأعادها ثلاثاً علي ، كل ذلك أقول : ما شاء الله فانطلق ، وانطلقت معه ، حتى أتينا بقيع الغرقد فخطب ﷺ بعصاه خطأ ، ثم قال : اجلس فيها ولا تبرح حتى آتيك ، ثم انطلق يمشي وأنا انظر إليه خلال النخل ، حتى إذا كان من حيث لا أراه ، ثارت قبله العجاجة السوداء ففرقت ، فقلت : الحق برسول الله ﷺ فإني أظن أن هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه فأسعى إلى البيوت ، فاستغيث الناس ، فذكرت أن رسول الله ﷺ أوصاني أن لا أبرح مكاني الذي أنا فيه ، فسمعت رسول الله ﷺ يقرعهم بعصاه ، ويقول : اجلسوا ، فجلسوا حتى كاد ينشق عمود الصبح ، ثم ثاروا وذهبوا ، فأتاني رسول الله ﷺ فقال : " أنمت بعدي ؟ " فقلت : لا ، ولقد فزعت الفرعة الأولى حتى رأيت أن آتي البيوت ، فاستغيث الناس حتى سمعتك تقرعهم بعصاك وكنت أظنها هوازن مكروا برسول الله ﷺ ليقتلوه ، فقال : لو أنك خرجت من هذه الحلقة ما أمنت عليك أن يختطفك بعضهم ، فهل رأيت من شيء منهم ، فقلت : رأيت رجالاً سوداً مستثفرين بثياب بيض . [تفسير ابن كثير : ٣٠١/٦ - ٣٠٢]

والذي بين يديه مال ، عند ما يجتهد في أداء حق الله من الزكاة التي فرضها الله عليه ، وحددت السنة أنصبتها حسب أنواع المال ، ويحرص على الصدقة التي يدفع الله بها منية السوء ، وتزيد المال وتنميته ، مع الاهتمام بدفع هذا المال - الذي هو حق واجب - لأصحابه الذين فرضه الله لهم في سورة التوبة ، امتثالاً لأمر الله مع المحبة للمال ، واهتماماً بالواجب الذي فرضه الله . طيبة بذلك نفسه وفق أمر الله سبحانه : ﴿ وآتوهم من مال الله الذي آتاكم ﴾ [سورة النور ، الآية : ٣٣] فإن قلبه يطمئن بذلك .

والمعصية التي يعملها الإنسان إذا لم يتب منها ، ويبادر بذلك ، فإن لها آثاراً على الإنسان وما يملكه عاجلاً ، وأثراً مرصوداً عليه في سجل أعماله يتماثل مع نوعية المعصية وثقلها في ميزان أعماله ، يخفف الله عنه أثرها بعفو منه ، لأن الله رؤوف بعباده كما جاء في الحديث الذي يدور معناه حول نتيجة الحسنة والسيئة في ميزان الجزاء وجاء فيه : إن أحدكم إذا هم بالحسنة فعملها كتبت له عشر حسنات إلى سبعين صفاً وإذا هم بها ولم يعملها كتبت له حسنة كاملة ، وإذا هم بالسيئة ولم يعملها كتبت له حسنة كاملة ، وإن هم بها وعملها كتبت عليه سيئة واحدة ، وهذا من رحمة الله بعباده ، تخفيف عقوبة السيئة ، ومضاعفة أجر الحسنة لأنه سبحانه بهم رؤوف رحيم ، يخفف عنهم نتائج معاصيهم لعلمهم يتوبون ويرجعون ، لأنه غفار لمن تاب وآمن ، فإن أبوا كانت ثمار معاصيهم الشقاوة الأبدية ، والعذاب الأليم .

وفادة الجن :

ذكر ابن كثير رحمه الله في تفسيره واحدة من قصص وفادة الجن على رسول الله ﷺ ليسمعهم القرآن الكريم ويعلمهم أمر دينهم بالسند إلى عمرو بن غيلان ، قال : أتيت عبد الله بن مسعود - رضي الله عنه - ، فقلت له : حدثت

ونرى من خلال هذا العرض الموجز للنظرية العامة كيف أن قضية الإيمان والتوحيد تمتد من كونها قاعدة الدعوة الصلبة وجوهرها ، ومن زاد الداعية الأول ، لتصبح قضية دعوة وبلاغ في الميدان تمثل مشكلة تحتاج إلى نهج وخطة للعلاج ، ثم تصبح جزءاً من العنصر الأول - الأسس الأربعة - في مرحلة العمل والتنفيذ والعلاج .

ونلاحظ كذلك كيف أن القضايا الأربع كانت تمثل المشكلات الأربع الرئيسية في الميدان في مرحلة دراسة واقع الميدان ، ثم تحولت في مرحلة العمل والتنفيذ لتكون الأسس الأربعة التي ينضم بعضها إلى بعض لتكون العنصر الأول للعمل والتنفيذ ، الذي تنطلق منه سائر العناصر وترتبط به .

ونلاحظ كذلك كأن الداعية يمر بثلاث مراحل : مرحلة البناء والإعداد والتزود بالزاد الضروري الرئيس ، ومرحلة النزول إلى الميدان لدارسة واقعه من خلال الزاد الذي يحمله ، ومرحلة الانطلاق والعمل والتنفيذ مستكملاً الزاد لينمو مع الممارسة الإيمانية ، ومستكملاً عناصر العمل والتنفيذ .

وهذه المراحل لا تعمل منفصلة بعضها عن بعض ، ولكنها تتداخل تداخلاً يحدده وسع الدعاة وطاقاتهم ، وواقع الميدان ، والظروف العامة المحيطة ، فالداعية الصادق هو في الميدان في جميع حالاته : وهو يتزود ، وهو يدرس ، وهو ينطلق ويعمل ، ليظل عمله متواصلاً جهاداً في سبيل الله ، وليظل زاده زاداً نامياً ، في نهج محدد وخطة واعية ، على بصيرة ، وعلى صراط مستقيم .

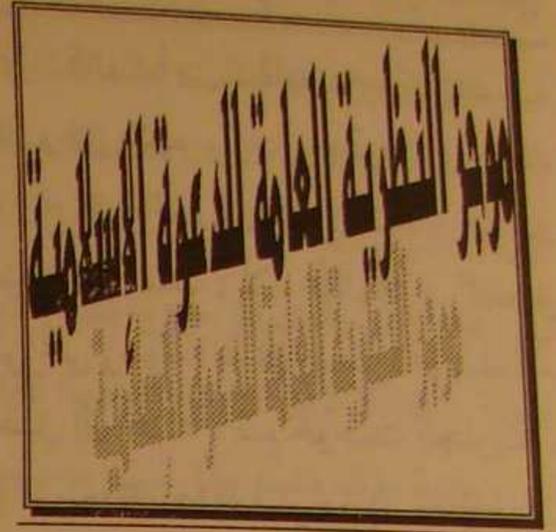
ويمكن أن نوجز ما عرضناه بنقاط محددة :

١- إن واقع المسلمين اليوم يفرض سؤالين هاميين :

الأول : أين ضاعت جهود قرن أو قرون من البذل في ميدان الدعوة ، ولماذا ضاعت ، ومن هو المسئول عن النتائج المروعة التي نشهدها ؟!

[الحلقة الثانية الأخيرة]

بقلم : الدكتور عدنان علي رضا النحوي



إنها مسئولية الطاقة البشرية المؤتمنة على صدق التنفيذ وأمانته ، ليصدق التقويم الدوري ويؤتي ثماره المرجوة (١) .

وليس "التقويم الدوري" وحدة يعتمد نجاحه على صدق الطاقة البشرية وأمانتها ووفائها لعهداها مع الله ، إن النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، والنهج كله ، وتحقيق الأهداف والمراحل ، كل ذلك يعتمد نجاحه على الطاقة البشرية ومدى صدقها ، وأمانتها ووفائها بعهداها ، وهذه قاعدة عامة في الحياة وسنة من سنن الله فيها ، لتكون الحياة الدنيا دار ابتلاء وتمحيص لا يخرج الإنسان منها إلا وقد استوفى أجله ورزقه ، لتقوم الحجة له أو عليه يوم القيامة (٢) .

وهكذا تتكامل النظرية العامة بقاعدتها الصلبة ، وركنيها الأساسيين ، وأسسها الأربعة ، وعناصرها النامية مع نمو الدعوة واتساع ميادينها .

ولكل جزء من هذه النظرية العامة دراساته النظرية والتطبيقية الضرورية للميدان ، دراساته المفصلة تجدها مبسوبة في كتب الدعوة الإسلامية التي نقدمها في سلسلة مترابطة من الكتب ، لنبين طبيعة العمل المنهجي سواء أكان ذلك في الناحية النظرية والدراسة والتأليف ، أم في الناحية العملية التطبيقية في الميدان .

٥- إن المصدر الرئيس والأول لفهم قضية الإيمان والتوحيد هو منهج الله ، فله الدور الرئيس في بناء التصور الإيماني في النفوس ، وله الدور المتميز في كل قضايا الدعوة ومراحلها ، لا يعدله أي مصدر آخر ، ولا يحله محله ، ونريد اليوم أن يؤدي منهج الله الدور الذي كان يؤديه في عهد النبوة الخاتمة ، فلا بد من دراسة هذا الدور ووعيه واتباعه (٣) .

٦- للكتاب البشري دور آخر : التذكير ، دراسة العلل والأمراض في الواقع ، دراسة سبل العلاج ، وضع النهج والخطة في قضية الإيمان والتوحيد وغيرها ، دراسة أحداث الواقع السياسية والاقتصادية والاجتماعية وغيرها ، دراسة قائمة على منهج الله ، والتذكير الدائم الملح بضرورة العودة إلى منهج الله ، لتكون هذه الدراسات والكتب منهجية ، تؤلف فيما بينها منهجاً محدد المعالم والتفصيلات ، يحمل النظرية والتطبيق ، ونماذج من الدراسات التطبيقية على بعض القضايا الفكرية ، وبعض أحداث الواقع .

ويمكن لنا الآن أن نعرض بعد هذا الموجز ، النظرية العامة للدعوة الإسلامية ، في صورتها المتكاملة من خلال نموذج يوضح القاعدة والركنين والأسس والعناصر ، حتى يتبين كيف تنمو النظرية العامة مرحلة مرحلة ، وكيف تماسكت لتنتقل منها الدراسات والنهج والخطة والأهداف والمراحل والأساليب والوسائل ، وليقوم عليها النظام والإدارة ، والمراقبة ، والإشراف ، والمتابعة ، والتوجيه .

إن مسؤولية الدعوة الإسلامية أن توفر للداعية سبيل أخذ الزاد المنهجي اللازم له في ميدان الدعوة ، إنها مسؤولية مدرسة الإسلام أن توفر هذا الزاد المنهجي للداعية ، وأن توفر له الوسائل والأساليب التي تمكنه من هذا الزاد ، وأن توفر له ، بالإضافة إلى الزاد المنهجي ، التدريب المنهجي على ممارسته في

والسؤال الثاني يسأله كل مسلم لنفسه : ماذا قدم لنصرة دين الله ، وكيف قدم ، وهل صدق ربه وأوفى بعهده مع الله على نهج وخطة ووعي ، وهل ثبت واستمر ، أم ضعف وتراجع !؟

٢- إن واقع المسلمين اليوم يفرض أن تقوم من أجل ذلك دراسات منهجية ، جادة أمينة ، لتحديد الخلل والعلل والأمراض ، ولرسم النهج والخطة للعلاج .

٣- إن أهم ما كشفتته الدراسات التي قدمناها في كتب الدعوة :

أ- حصر الخلل في الميدان بالقضايا والمشكلات الأربع الرئيسة التي ترتبط بوحدة منها أو أكثر بقية المشكلات الجزئية .

ب- إن أهم قضية هي قضية الإيمان والتوحيد ، فهي تمثل نقطة الانطلاق والزاد الأول الرئيس للدعاة ، والقضية الكبرى في حياة كل إنسان ، والحقيقة الكبرى في الكون ، والهدف الثابت الأول ، والقاعدة الصلبة للدعوة الإسلامية كلها ، وجوهرها .

ج- تكشف لنا الدراسات كذلك غياب مسئولية الفرد ، حتى كاد الكثيرون يكونون قطيعاً يُساق ، أو رجالاً إمعة ، وتكشف الدراسات خطورة هذا الخلل ، وكيف أن مسئولية الجماعة والأمة لا تتحقق إلا بنجاح مسئولية الفرد وتحققها في واقع الحياة على أساس من منهج الله تعالى .

د- تكشف لنا الدراسات غياب النهج والتخطيط على أسس إيمانية ربانية ، وغلبة الارتجال وردود الفعل ، وتكشف لنا ضرورة وضع النهج والخطة للدعوة الإسلامية .

٤- من هنا تنبع النظرية العامة للدعوة الإسلامية بقاعدتها الصلبة ، وركنيها الأساسيين ، وأسسها الأربعة ، وعناصرها النامية الممتدة مع نمو الدعوة .

الميدان ، ثم يكون نزوله للميدان تدريجياً نامياً مستمراً ، يزيده إيماناً بفضل الله ورحمته لمن يريد الله له الهداية ، ويزيده علماً وخبرة وتجارب .

إن هذه النظرية العامة : بقاعدتها الصلبة وجوهرها ، وركنيها الأساسيين ، وأسسها الأربعة ، وعناصرها النامية مع نمو الميادين تكون موجهاً قوياً للداعية والدعوة كلها ، وترسم له الدرب ، ونقطة الانطلاق والمراحل والأهداف ، والوسائل والأساليب .

في هذه الصورة التي نعرضها للنظرية العامة للدعوة يوجد بعض الإيضاحات زيادة عما ورد في الكتب السابقة ، فقضية الإيمان والتوحيد التي اعتبرناها في جميع كتب الدعوة هي القضية الأخطر في حياة كل إنسان ، والحقيقة الكبرى في الكون ، هذه القضية أضفناها للنظرية العامة لتكون القاعدة الصلبة للدعوة الإسلامية وجوهرها ، والهدف الثابت الأول ، والقضية الكبيرة ، والمنطلق ، والزاد الأول ، وعلى هذه القاعدة يقوم الركنان الرئيسان ، كنا نعتبرها جزءاً من الركنين الرئيسيين ، فأثرنا هنا إضافة على هذا النحو .

وكذلك كنا نؤكد أهمية الإدارة والنظام ، وما يحمله من اشراف ومراقبة ومتابعة وتذكير ، ونصح وتوجيه ، وترابط وتنسيق ، وجمع للجهود بدل تمزقها ، هذه الإدارة بكل تأكيدات التي ظهرت في كتب الدعوة أصبح من حقها أن تدخل في صلب النظرة العامة للدعوة الإسلامية لتكون العنصر الرابع من عناصرها ، كما هو مبين في النموذج السابق .

لقد كنا نعتبرها جزءاً من النهج والتخطيط ، وهي في الحقيقة كذلك ، ولكننا رأينا إبرازها كعنصر من عناصر التنفيذ لبيان أهميتها ومدى إهمالها في واقع المسلمين .

وكذلك جعلنا النهج والتخطيط لكل ميدان عنصراً واحداً بفروعه الأربعة ، بعد أن كان هذا ثلاثة عناصر .

نشعر أن هذه التعديلات كانت ضرورية ، بالرغم من أنها كانت واضحة في كتب الدعوة ، ولكنها الآن أصبحت جزءاً من النظرية العامة .

نذكر هذه التوضيحات حتى لا يشعر القارئ بتضارب بين هذا العرض ، وبين العرض في الكتب السابقة ، وحتى يشعر بالانسجام والنمو والتكامل .

ونجد الدراسة التفصيلية لكل عنصر من عناصر التنفيذ في الميدان في كتاب : "نهج الدعوة وخطة التربية والبناء" ، ونجد الدراسة التفصيلية للقاعدة الصلبة والركنين والأسس الأربعة في كتب أخرى لكل جزء من هذه الأجزاء مع أدلتها من الكتاب والسنة آيات وأحاديث .

ولقد عرضنا هذه النظرية العامة قبل سنوات طويلة ، وجاءت الأيام لتكشف لنا بركتها في ميدان الالتزام والتطبيق لنهج عام يحمل النظرية ومناهج التطبيق والنماذج العملية .

الهوامش :

- (١) يراجع كتاب : "نهج الدعوة وخطة التربية والبناء" للمؤلف - الباب الرابع - الفصل الرابع : ص/١٣٥-١٤٨ ، وكتاب : "واقع المسلمين أمراض وعلاج" - الباب الأول - الفصل الأول ، الوقفة الإيمانية : ص/١٩-٤٢ .
- (٢) المرجع السابق : "نهج الدعوة وخطة التربية والبناء" الباب الأول : ص/١٥-٥٠ ، لدراسة الطاقة البشرية ودورها ومسئوليتها .
- (٣) يراجع كتاب : "دور المنهج الرباني في الدعوة الإسلامية" [ط/٦] للمؤلف .

الثقة الكاملة بها، ويجعلها موضع الإيمان والتسليم ويغنيها من ناحية أخرى، عن الوسائل التي يلجأ إليها لتزيين البشرية الفاقصة (٤).
 إن مناطق تلك المفاهيم الضالة التمويه على الإنسان والتدليس عليه، وفي ذلك ما فيه من زراية بعقله واستهانة بكرامته، وقد اتسمت الحضارة المادية في العهد الأخير بالتدجيل في كل شئ، والتلبيس على الناس، وتسمية الأشياء بغير أسمائها، وتمويه الحقائق وإطلاق الأسماء البراقة الخلافة للعقول على غير مسمياتها، وقد التبس الأمر بذلك على كبار الأذكياء ونوابغ العلماء فأصبحوا يتغنون بهذه الشعارات والفلسفات، وقد سرت هذه الروحية (الدجلية المدلسة) في هذه الحضارة لسيرها على خط معارض لخط النبوة والإيمان بالأخوة، والإيمان بالغيب، الإيمان بفاطر الكون وقدرته المطلقة واحترام شريعته وتعاليمه وللاعتقاد الزائد على الحواس الظاهرة والشغف الزائد بما يعود على الإنسان باللذة البدنية، والمنفعة العاجلة والغلبة الظاهرة (٥).

وإن هذه الثقافات المرتكزة على النظرات البشرية والفلسفات المحدودة والمرتبطة بقيود الزمان والمكان والخاضعة لمؤثرات البيئات والظروف والمتأثرة بالأزمات النفسية والهزات الاجتماعية وما ينجم عنها من ردود فعل، التي يبعدها عن العمق والصدق والإتزان، فهي بعيدة كل البعد عن أي نزعة تحفظ الإنسان، ويقول الأستاذ صبطي: "ما بنى عليه الثقافة الإسلامية العقيدة للتوحيد، وما بنى عليه الثقافة الغربية الإلحاد والمادة" (٦).

وتلك الثقة تتجلى على العبودية التي تقدم الثقة والطمأنينة واليقين الخالص وحب الله - عز وجل - والخوف منه ورجاءه (٧).

الثقافة الإسلامية خصائصها ومزاياها

الأستاذ محمد أحسن الله فيصل

الجامعة الإسلامية - كوستيا (بنغلاديش)

تمتاز الثقافة الإسلامية .. : بأن الدين الذي هو قوامها وصمامها، نظام كامل شامل، أي أنه منهج للحياة البشرية الواقعية بكل مقدماتها ومقوماتها، وبكل تجاربها وعواقبها، فهو نظام يشمل التصور الاعتقادي الذي يفسر طبيعة الوجود، ويحدد مكان الإنسان فيه، كما يعين غاية الوجود الإنساني، وهو أيضاً يشمل الأنظمة الواقعية التي تصدر عن ذلك التصور الاعتقادي كالنظام الأخلاقي والنظام الاجتماعي والنظام الاقتصادي والنظام السياسي (١).

١- موضع الثقة الكاملة:

إن المصدر الرئيسي للثقافة الإسلامية هو القرآن الكريم، وقد بقي هذا المصدر صافياً أمداً طويلاً، وحرص الرسول ﷺ في تربيته للمسلمين على أن لا يختلط بغيره من المصادر (٢)، كما يقول سيد قطب الشهيد: "لأنه كان يريد أن يصنع جيلاً خالص القلب، خالص العقل، خالص التصور، خالص الشعور، خالص التكوين من أي مؤثر آخر" (٣).

وإن الثقافة الإسلامية بارتكازها على العقيدة ليست من وضع بشر منساق بطبيعة البشرية إلى عوامل الضعف والنقص وضغط المنفعة والعصبية والطبقية، بل إن انبثاقها عن المنهج الإلهي يعطيها منطلق

العقيدة على الأقل - وادياً مظلماً للأحزان ، إنها الميدان الذي تعترف فيه قوتان ، الشر المتمثل في الشيطان ، والخير المتمثل في المسيح ، فالمسيح يضحى بنفسه لخطيئة الإنسان أي بفداء المسيح تحل الخطيئة عن الإنسان (١١) ، وهذا ليس في الإسلام ولا في ثقافته ، بل إنه يتوب العبد المذنب إلى الله ، لا إلى الرسول ﷺ فلا يحاسب أحداً بذنب أبيه ولا تزر وازرة وزر أخرى .

والإسلام يقرر أن الإنسان مكلف قابل للهبوط إلى أسفل السافلين وقابل للصعود إلى قمة الخليفة ، وهي الأمانة التي رفعته مقاماً فوق مقام الملائكة وهبطت به مقاماً إلى زمرة الشياطين (١٢) .

إن الإسلام يبطل كل التصورات المنحرفة والمتطرفة والفاصلة عن الإنسان حين يضع الإنسان أمام حقيقته من حيث أصل الخلقة حيث يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ فلينظر الإنسان ممن خلق ﴾ خلق من ماء دافق ﴾ يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ (١٣) .

ثم من حيث عناصر التكوين ومراحلها ، وما ينشأ عليه من الضعف والعجز ، ثم ما يوهب من القوة والشباب ، وما ينتهي إليه بعد ذلك من انحطاط القوى والعجز والضعف مرة أخرى ، وفي ذلك يقول تبارك وتعالى : ﴿ فإنا خلقناكم من تراب ﴾ ثم من نطفة ﴾ ثم من علقه ﴾ ثم من مضغة مخلقة ﴾ وغير مخلقة لنبيين لكم ﴾ ونقر في الأرحام ما نشاء إلى أجل مسمى ﴾ ثم نخرجكم طفلاً ثم لتبلغوا أشدكم ﴾ ومنكم من يتوفى ﴾ ومنكم من يُرد إلى أرذل العمر ﴾ (١٤) .

إن الإنسان من حيث الأصل مخلوق حقير ، وفضله الله بنعم كثيرة وكرمه على العالمين ، فالكرامة والفضيلة تتوقفان على أن لا يُلوث

وهذه الثقافة تقوم على الإيمان بالله والرسول واليوم الآخر وتنشئ في النفس الإنسانية تلك الثقة المرتكزة على يقظة ذاتية وحيوية داخلية ، تكون تلك النزعة الفطرية إلى الاستقامة وتدفع إلى حسن السلوك ، وهي نزعة لا تحتاج إلى محرك خارجي ولا إلى رقابة خارجية السلطان على الفرد ذلك انه هو الاعتقاد الذي يحمله بين جنبيه (٨) .

ومرتكز هذه الثقة هو مرتكز وجداني أخلاقي ، لا تنشئه إلا العقيدة الدينية وحدها ، وفي هذا ما يؤكد أن الإيمان وحده هو الذي يستوفي كل هذه الأمور وينشئ ذلك الشعور الذي يظل يعتمل في قرارة ضمير المؤمن ، فيحمله على الخير ويردعه عن الشر ويحدث ذلك التفاعل الإيجابي الناجم عن الثقة مع الاستقامة والفضائل ، وذلك التفاعل السلبي مع الانحراف والردائل (٩) .

٢- كمال تصورها للإنسان والحياة :

ومن خصائص الثقافة الإسلامية الاتسام من حيث إقامتها التصور الصحيح للإنسان وعلاقتها بالحياة بالتوافق التام بين الوجهتين الروحية والمادية فيه ، بحيث ينتقى ذلك التناقض الذي أقامته التصورات المنحرفة بينهما ، وهو تناقض زرعت بذوره الأولى في الحياة الإنسانية عقيدة الخطيئة الأولى التي جاءت بها النصرانية والتقت فيها من حيث أخطأ التصور والاستنتاج مع عقائد أخرى زائفة منها ما هو قديم كالبودية والبرهمية أو حديث كالروحانية الحديثة (١٠) .

فالإنسان حسب العقيدة النصرانية - يتعثّر في الخطيئة الموروثة التي ارتكبها آدم وحواء - وعلى هذا تعتبر الحياة كلها - وفي نظر

روحه باتباع الشيطان وسلوك طريقه ، وأن لا ينحدر من مرتبة الخلافة المتلازمة مع الخضوع والطاعة إلى حضيض البغي والعصيان ، وفي ذلك يقول الله تبارك وتعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ۗ قَالُوا : أَتَجْعَلُ فِيهَا مَنْ يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ ۗ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۗ قَالَ : إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۗ وَقَلْنَا اهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا ﴾ (١٥) .

ولقد جاء منهج الإسلام للحياة الإنسانية بتحديد واضح رائع للعلاقة بين الإنسان والحياة بأن ينعم في الدنيا ويستخدم منها ، لا يحترز عنها ، بل يستخدمها على قدر استطاعته مع إدراك كامل منه وتمييز دقيق كما يقول تبارك وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ كُلُوا مِمَّا فِي الْأَرْضِ حَلَالًا طَيِّبًا ۗ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ ۗ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴾ (١٦) .

مع هذه الدعوة إلى الانتقاء بالحياة يضع التصور الإسلامي أمام الإنسان بأن هذه الحياة هي عرض زائل حائل ، محدود ، غايتها الموت المحتوم ، والشئ الخالد والبقاء هو الصلاح : صلاح القلب ، وصلاح الروح ، وصلاح الأعمال (١٧) .

وفي ذلك قول الباري تعالى : ﴿ إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا فَلَا تَغْرَنَكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ۗ وَلَا يَغْرَنَكُم بِأَلَلِهِ الْغُرُورُ ﴾ (١٨) ، و ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالِكُمْ وَلَا أَوْلَادِكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ ۗ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ (١٩) ، ﴿ وَإِنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى ﴾ (٢٠) .

٣- عقلائية النظرة العالية الصائبة : يقول العلامة محمد الغزالي : "من خصائص الإسلام الأول أنه دين يقوم على العقل ويحترم

منطقه . ويبني الإيمان على التفكير الصائب والنظر العميق ، والتوافق بين صريح العقول وصحيح المنقول ، أمر مقرر في ثقافتنا التقليدية على اختلاف مدارسها ، كما يقول عقاد : "التفكير فريضة إسلامية.. (٢١) .

وقد ركز القرآن على (العقل الإنساني) فجعل يحتفى به ، ويلفت انتباهه ، إلى ملكوت السماوات والأرض وعجائب المخلوقات وبدائع القوانين الكونية : ﴿ أَوَلَمْ يَنْظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۗ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ ﴾ (٢٢) . فتحدث إليه : "عن الشمس والقمر وعن الليل والنهار وعن السحاب والمطر ، وعن الماء وينابيعه في الأرض ، وتحدث إليه عن الزرع الذي تختلف ألوانه وأثراته .. وعن البحار وآلائها وذخائرها وأسماكها ومنافعها المتعددة ، وعن الجبال وحكمة خلقها وما تظمه من كنوز الذهب والفضة والمعادن الأخرى (٢٣) .

يتضح ذلك في آيات من القرآن الحكيم ومنها : ﴿ وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

٤- إنسانية النزعة والهدف :

إن الثقافة الإسلامية إنسانية النزعة والهدف ، عالية الأفق والرسالة ، تنظر إلى الناس بمقياس واحد لا تفسدها القومية أو العنصرية أو الجنس أو اللون ، و واضح أن هذه النزعة من أثر القرآن الكريم الذي يعلن أن الناس جميعاً خلقوا من نفس واحدة من ذكر وأنثى ، إن الرابطة التي تربط بين بني الإنسان في مفهوم الثقافة الإسلامية هي رابطة العقيدة ، بها يرتفع الإنسان وينخفض (٢٤) ، وحسب هذا المفهوم يكون الوطن داراً تحكمها عقيدة ومنهاج وشريعة من الله ، وتكون الجنسية عقيدة ومنهاج حياة : " إن عصبية العشيرة

وصى به نوحًا والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى
أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ﴿٢٩﴾ .

والإسلام لا يفرق بين الحياة والموت ، بين الدنيا والآخرة ، بين
الجسد والروح ، بين الخصائص الفردية والاجتماعية ، بل يجمع
ويوحد ، وإعلان الرب جل وعلا هكذا : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار
الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا ﴾ (٣٠) .

٦- بثها روح التمييز والتشخص في الأمة :

الثقافة الإسلامية تتسم ببث روح التمييز والتشخص الكامل لهذه
الأمة المتوسطة قولاً ، عملاً وسلوكاً ، تميزاً تاماً عن غيرها من الأمم
المخالفة لها في العقيدة والخلق والاتجاه ، وهذا الشعور التمييزي يصون
في الأمة مقومات وجودها ، وينشئ لها كياناً راسخاً صلباً ، لا يعتديه
التصرع ، أو ينفذ إليه الخلل ، ما دام هذا الشعور ، مستنداً إلى الحق
والخير والفضيلة فيعود به الأمة على كراهية الكفر ونفور الشرك وعلى
غير الثقافة الإسلامية .

كما يبين تبارك وتعالى شأن المسلمين وغير المسلمين : ﴿ يا أيها
الذين آمنوا لا تقولوا راعنا ۖ وقولوا انظرونا .. ﴾ (٣١) ، ﴿ ومن الذين
هادوا يحرفون الكلم عن مواضعه ويقولون سمعنا وعصينا واسمع غير
مسمع وراعنا لئلا بأسنتهم وطعنا في الدين ﴾ .

وهذه التورية والتحريف من شأن اليهود ، والتثليث والصليب من
شأن النصارى ، وقول العامة الجهلاء : " السام عليكم " هذه كلها

والقوم والجنس واللون والأرض عصبية صغيرة متخلفة ، عصبية
جاهلية عرفت بها البشرية في فترات انحطاطها " (٢٥) .

وهذه الثقافة تدعو إلى الإنسانية العالمية كما يقول الله - عزوجل - :
﴿ يا أيها الناس ! إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل
لتعارفوا ۖ إن أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ (٢٦) .

لأنها تتصل وتنبتق من الفكرة العالمية لنفسها .

٥- وحدتها الترابطية المتناسقة :

من خصائص الثقافة الإسلامية أنها كل متحد مترابط متناسق ،
يؤخذ جملة وتفصيلاً دون اصطفاء أو استهواء أو اعتبار لما يوافق الهوى
أو يصادمه ، فالثقافة الإسلامية بمفاهيمها العامة الشاملة ليست أجزاء
متفرقة ، لا رابطة بينها ، تعرض كما تعرض السلع في المتاجر ليختار
الإنسان منها ما يلائمه ويوافق مزاجه ويدع ما لا يرغب فيه لعدم
توافقه مع ذوقه أو لغلاء ثمنه (٢٧) .

ووحدة الثقافة الإسلامية ترتكز من وجهة نظر الإسلام على
أساس منطقي قوي ، وهي أن الحقائق لا يمكن أن تكون متناقضة
والإسلام قد حسم كل التنازعات والخلافات وأرسى قاعدة الوحدة
الفكرية والروحية على قاعدة المنهج الرباني الذي هو هادم الأوهام
والتناقضات .

في تقرير هذه الوحدة قوله - عزوجل - : ﴿ إن الذين فرقوا دينهم
وكانوا شيعاً لست منهم في شيء ﴾ (٢٨) ، ﴿ شرع لكم من الدين ما

(١٣) سورة الطارق . الآيات : ٥-٧ .

(١٤) سورة الحج ، الآية : ٥ .

(١٥) سورة البقرة ، الآيات : ٣٠-٣٧ .

(١٦) سورة البقرة ، الآية : ١٦٧ .

(١٧) سيد قطب : "الإسلام ومشكلة الحضارة" : ص/٤٣ .

(١٨) سورة لقمان ، الآية : ٣٣ .

(١٩) سورة المنافقون ، الآية : ٩ .

(٢٠) سورة النجم ، الآية : ٣٩ .

(٢١) محمد الغزالي : "دستور وحدة الثقافة بين المسلمين" : ص/١٨٥ ، دار القلم

الكويت سنة ١٩٨٣م-١٤٠٣هـ .

(٢٢) سورة الأعراف ، الآية : ١٨٥ .

(٢٣) محمد المبارك : "نظرة الإسلام العامة إلى الكون والوجود" قد نقل منه في

"محاضرات في الثقافة الإسلامية" : ص/١٩ .

(٢٤) د/عبد الكريم عثمان : "معالم في الثقافة الإسلامية" : ص/٨٨ .

(٢٥) سيد قطب : "معالم في الطريق"

(٢٦) سورة الحجرات ، الآية : ١٣ .

(٢٧) لمحات في الثقافة الإسلامية : ص/٧٦ .

(٢٨) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٩ .

(٢٩) سورة الشورى ، الآية : ١٣ .

(٣٠) سورة القصص ، الآية : ٧٧ .

(٣١) سورة النساء ، الآية : ٤٦ .

خارجة عن الدين وثقافته ، فلذلك قد أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية -
رحمه الله تعالى- في حقيقة التمييز ، إضافة تامة في كتابه .

[يتبع]

الهوامش :

(١) أحمد محمد جمال : "محاضرات في الثقافة الإسلامية" : ص/١٨ ، الطبعة
الرابعة ، جامعة الملك عبد العزيز سنة ١٩٧١م .

(٢) د/عبد الكريم عثمان : "معالم في الثقافة الإسلامية" : ص/٩٦ ، مؤسسة
الأنوار طبع ١٣٩٨هـ-١٩٧٨م .

(٣) سيد قطب "المستقبل لهذا الدين" .

(٤) عمر عودة الخطيب : "لمحات في الثقافة الإسلامية" : ص/٦٣ ، مؤسسة
الرسالة بيروت سنة ١٩٧٧م .

(٥) أبو الحسن علي الندوي : "الصراع بين الإيمان والمادية" : ص/١٣ .

(٦) الأستاذ السيد صفطي ، مدير جامعة دار الإحسان -داكا ، وهو قد أعطانا
مذكراته ، فقال فيها هكذا .

(٧) وحيد الدين خان : "الإسلام يتحدى" : ص/٤٢٣ .

(٨) لمحات في الثقافة الإسلامية : ص/٦٥ .

(٩) د/محمد البهي : "الإسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر" : ص/٤٢ .

(١٠) لمحات في الثقافة الإسلامية : ص/٦٨ .

(١١) محمد أسد : "الإسلام على مفترق الطرق" : ص/٣٨ .

(١٢) عباس محمود العقاد : "حقائق الإسلام وأباطيل خصومه" : ص/٧٧ .

الخبر المشهور بين الأصوليين والمحدثين

الدكتور محمد باقر خان خاكوانى

أستاذ في كلية العلوم الإسلامية والعربية

بجامعة بهاء الدين زكريا ، ملتان - باكستان

اتفق العلماء على أن

القرآن الكريم هو الأصل

المرجوع إليه في الشرائع ، وهو الأصل الأول من الأصول الأربعة وهو عبارة عن إيجاب طاعة ما أمرنا به رسول الله ﷺ - فقد قال الله واصفاً رسوله - عليه الصلاة والسلام - : ﴿ وما ينطق عن الهوى ﴾ إن هو إلا وحي يوحى ﴿ [سورة النجم ، الآيتان : ٣-٤] ، وينقسم الوحي إلى قسمين : أحدهما وحي متلو مؤلف تأليفاً معجزاً للنظام ، وهو القرآن ، والثاني وحي مروى منقول غير مؤلف ولا معجز للنظام ولا متلو ولكنه مقروء ، وهو الخبر الوارد عن رسول الله ﷺ وهو مبين عن الله - عز وجل - مراده منا ، قال تعالى : ﴿ لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ [سورة النحل ، الآية : ٤٤] ، ونجد أن الله تعالى قد أوجب طاعة هذا القسم الثاني وهو السنة أو الحديث كما أوجب طاعة القسم الأول الذي هو القرآن ولا فرق بين وجوب طاعة القسمين ، قال

تعالى : ﴿ وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ﴾ [سورة النساء ، الآية : ٦٥] ، فالأصل الأول هو القرآن والأصل الثاني هو السنة ويطلق عليها الخبر أيضاً (١) .

تعريف الخبر لغة واصطلاحاً:

والخبر بفتح الخاء والباء الموحدة مشتق من الخبر وهي الأرض الرخوة ، لأن الخبر يثير الفائدة كما أن الأرض الخبار تثير الغبار إذا قرعها الحافر ونحوه ، وهو نوع مخصوص من القول وقسم من الكلام اللساني وقد يستعمل في غير القول كقول الشاعر : "تخبرك العينان والقلب كاتم" وقول العمري :

نبي من الغربان ليس على شرع

يخبرنا أن الشعوب إلى صددع (٢)

واصطلاحاً الخبر ، هو الذي لا يخلو أن يكون صدقاً أو كذباً ، وله صيغة موضوعة في اللغة تدل عليه وهو قوله زيد قائم وعمرو قاعد ، وما أشبهها ، وقالت الأشعرية : لا صيغة له ، والدليل على فساد ذلك أن أهل اللغة قسموا الكلام إلى أربعة أقسام ، فقالوا : أمر ونهي ، وخبر واستخبار ، فالأمر قولك إفعل ، والنهي لا تفعل ، والخبر قولك زيد في الدار ، والاستخبار قولك أزيد في الدار ، فدل على ما قلناه (٣) .

والخبر أيضاً عند بعض الأصوليين اسم لكلام مخصوص بصيغة مخصوصة يتعلق به العلم بالخبر به بخلاف الإشارة والدلالة ، لأنه ليس بكلام وإن كان يحصل به العلم ، وعندهم الخبر : هو كلام تعرى عن معنى التكليف لأن الكلام كله تعريف وتكليف ، والتكليف هو

متواتر وأحاد" (٦) ، ولكن الجمهور ذهبوا إلى أن الأحاد ينقسم إلى قسمين :

١- الخبر المشهور . ٢- خبر الواحد .

٣- رأى بعض الأصوليين : لقد انفرد الماوردي بهذا التقسيم فينقسم الخبر عنده إلى ثلاثة أقسام :

١- الخبر المستفيض . ٢- الخبر المتواتر . ٣- خبر الأحاد .

يقول الماوردي : "فأما الأخبار على ثلاثة أضرب ، أخبار استفاضة وأخبار متواتر وأخبار آحاد" (٧) ، وذهب القرافي إلى أن الأخبار في الاصطلاح ثلاثة أقسام : "المتواتر والآحاد ، وما ليس بمتواتر ولا آحاد ، وهو خبر المفرد ، إذا احتفت به القرائن" (٨) .

فيتضح مما سبق أن الأحناف والماوردي والقرافي يقسمون السنة إلى ثلاثة أقسام مع اختلاف أسمائها بينها ، واختار الجمهور تقسيماً ثنائياً للخبر .

٤- رأى المحدثين : يوافق المحدثون جمهور الأصوليين في التقسيم الأساسي للسنة وهو تقسيمها إلى خبر الأحاد والخبر المتواتر ، ثم يختلفون معهم فيما بعد في تقسيم خبر الواحد حيث ينقسم عندهم هذا الخبر إلى ثلاثة أقسام : المشهور والعزيز والغريب ، الذي يقال الفرد أيضاً ، يقول الدكتور محمود الطحان : "ينقسم الخبر باعتبار وصوله إلينا إلى قسمين ، فإن كان له طرق بلا حصر عدد معين فهو المتواتر وإن كان له طرق محصورة بعدد معين فهو الآحاد ، وينقسم خبر الأحاد إلى ثلاثة أقسام : مشهور ، عزيز ، وغريب (٩) .

الأمر والنهي ، والتعريف هو الخبر والاستخبار والنداء والتمنى وفي ذلك كله معنى الخبر (٤) .

تقسيمات الخبر : يقسم المحدثون والأصوليون الخبر إلى تقسيمات عديدة ، منها تقسيمه باعتبار وصوله إلينا ، فيختلف المحدثون والأصوليون في هذا التقسيم ثم يختلف الأصوليون فيما بينهم في تقسيماته ، وفي تقسيم الخبر باعتبار وصوله إلينا أربعة آراء :

١- رأى الأحناف . ٢- رأى جمهور الأصوليين .

٣- رأى بعض الأصوليين . ٤- رأى المحدثين .

١- رأى الأحناف : ذهب الأحناف إلى أن الخبر ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- خبر متواتر . ٢- خبر مشهور . ٣- خبر آحاد .

كما قال فخر الإسلام البزدوي : " فأما الاتصال برسول الله ﷺ فعلى مراتب ، اتصال كامل بلا شبهة واتصال فيه ضرب شبهة وصورة ، واتصال فيه شبهة صورة ومعنى ، أما المرتبة الأولى فهو المتواتر والضرب الثاني هو المشهور والثالث هو خبر الآحاد " (٥) .

٢- رأى جمهور الأصوليين :

ذهب جمهور الأصوليين ومنهم الشافعية والمالكية والحنبلية والظاهرية إلى أن السنة تنقسم إلى قسمين :

١- خبر متواتر . ٢- خبر آحاد .

ولا يوجد عندهم الخبر المشهور باعتباره قسماً مستقلاً ، حيث يقول ابن قدامة : "فأما من بلغه بالإخبار عنه فينقسم في حقه قسمين

يتضح مما سبق أن المحدثين والأصوليين يختلفون في تقسيم الخبر باعتبار وصوله إلينا ، ثم يختلف الأصوليون أيضاً فيما بينهم في هذا التقسيم ، وبعد هذه المقدمة نتناول موضوع الخبر المشهور الذي يسمى في بعض الأحيان مستفيضاً ، وموقف الأصوليين والمحدثين منه .

المشهور لغة : المشهور لغة اسم مفعول من "شهرت الأمر" إذا أعلنته وأظهرته وسمي بذلك لظهوره ، كما جاء في لسان العرب : "شهر : ظهور الشئ في شئ حتى يشهره الناس ، وفي الحديث "من لبث ثوب شهرة ألبسه الله ثوب مذلة" والشهرة وضوح الأمر والشهر القمر سمي بذلك ، لشهرته وظهوره ، وقال ابن سيده : "الشهر العدد المعروف من الأيام سمي بذلك لأنه يشهر بالقمر وفيه علامة ابتدائه وانتهائه" (١٠) .

وفي الاصطلاح نجد له أربعة تعريفات :

- ١- المشهور عند الأحناف . ٢- المشهور عند جمهور الأصوليين .
- ٣- المشهور عند بعض الأصوليين . ٤- المشهور عند المحدثين .

١- الخبر المشهور عند الأحناف :

يعتبر الأحناف المشهور نوعاً مستقلاً من أنواع السنة وهو القسم الذي فيه شبهة صورة لا معنى ، يعني كان من الأحاد في الأصل أي في الابتداء ، ثم انتشر في القرن الثاني حتى روته جماعة لا يتصور تواطؤهم على الكذب ، وتلقته العلماء بالقبول ، والمشهور عند الأحناف هو كل حديث نقله عن رسول الله ﷺ عدد يتوهم اجتماعهم على الكذب ولكن تلقاه العلماء بالقبول والعمل به ، فباعتبار الأصل هو من الأحاد وباعتبار الفرع هو متواتر ، كما صرح به عبد العزيز البخاري ، حيث

قال : "من أقسام الاتصال وهو الذي فيه ضرب شبهة صورة لا معنى ، لأنه لما كان من الأحاد في الأصل كان في الاتصال ضرب شبهة صورة ولما تلقته الأمة بالقبول مع عدالتهم وتصلبهم في الدين كان بمنزلة المتواتر ، والاعتبار للاشتهاار في القرن الثاني والثالث ولا عبرة للاشتهاار في القرون التي بعد القرون الثلاثة فإن عامة أخبار الأحاد اشتهرت في هذه القرون ولا تسمى مشهورة" (١١) .

ونستنتج مما سبق أن المشهور يشترط أن يتوافر فيه ثلاثة شروط عند الأحناف :

١- أن يكون آحاد الأصل .

٢- ثم انتشر في خير القرون حتى وصل إلى حد التواتر .

٣- تلقاه العلماء بالقبول والعمل في هذه القرون .

إذا استوفى خبر الأحاد هذه الشروط الثلاثة يسمى بالمشهور ،

ويستشهد الأحناف لموقفهم المذكور بالحديث الذي وصف فيه النبي ﷺ

هذه القرون بأنها خير القرون ، فقال النبي -عليه الصلاة والسلام- : "

خير القرون قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم" (١٢) .

والعلماء في هذا الزمن إذا تلقوا خبر الأحاد بالقبول والعمل فهذا

يدل على إجماعهم على أخذ ذلك الحديث ، وإجماع العلماء في هذه

القرون يقوى فيكون فوق الأحاد ودون المتواتر .

ولذلك ذهب بعض الأحناف وعلى رأسهم أبو بكر الجصاص أن

المشهور قسم من المتواتر وليس من أقسام الأحاد كما يشير إليه شمس

الأئمة السرخسي : "فكان أبو بكر الرازي يقول : هذا أحد قسمي

المتواتر على معنى أنه يثبت به علم اليقين" (١٣) .

٢- الخبر المشهور عند جمهور الأصوليين :

ذهب الجمهور ومنهم الشافعية والحنبلية وجمهور المالكية ، إلى أن المشهور نوع من أنواع الآحاد ولا يعتبرونه نوعاً مستقلاً من السنة ، وعرف الآحاد عند الجمهور بأنه ما لم يتوافر فيه شروط المتواتر ، كما قال الشيرازي : "واعلم أن خبر الواحد ما انحط عن حد التواتر" (١٤). وعرف الجمهور الخبر المشهور بتعريفات عديدة نقلها هنا : قال سيف الدين الآمدي الشافعي : "خبر الواحد ، إن نقله جماعة وتزيد على الثلاثة أو الأربعة سمي مستفيضاً مشهوراً (١٥) ، ويقول ابن النجار الحنبلي : "فدخل في الآحاد من الأحاديث ما عرف بأنه مستفيض مشهور ، وهو ما زاد نقلته على ثلاثة عدول ، فلا بد أن يكونوا أربعة فصاعداً ، وقيل ما زاد نقلته على واحد فلا بد أن يكونوا اثنين فصاعداً ، وقيل هو ما ارتفع عن ضعف الآحاد ولم يلتحق بقوة المتواتر" (١٦) .

والخلاصة أن الجمهور يشترطون للمشهور الشروط التالية :

١- أن ينقله جماعة عدول يزيد عددهم على الثلاثة أو الأربعة.

٢- أن ينقله إثنان فصاعداً .

٣- أن يكون أقوى من ضعف الآحاد ولم يصل إلى حد التواتر .

فيتضح من هذا أن الجمهور لا يتفقون على تعريف موحد للمشهور ولكنهم يتفقون على أنه درجة أعلى من خبر الآحاد مع ذلك أنه خبر من الآحاد ، وسبب ذلك أن المشهور نقله من البداية أكثر من راو ، ثم زاد راو بأنه ثلاثة كما جزم به الآمدي وابن الحاجب أو على اثنين كما ذهب إليه ابن اللحام ، واتفق الجمهور على أن خبر الواحد إذا تلقته

الأمّة بالقبول تصديقاً له وعملاً به فهو يرتفع من مقام الآحاد ويوجب العلم ، كما اتفقوا على وجوب العمل بخبر الواحد ، والمشهور عند الجمهور ما هو أقوى من ضعف الآحاد ولم يصل إلى حد التواتر وتلقته الأمّة بالقبول في خير القرون سواء عمل الكل به أو عمل البعض وتأوله البعض ، وذهب الجمهور إلى أن المشهور يوجب العمل ويقع العلم به (١٧) ، كما قال ابن النجار : "وقد كنت أميل إلى هذا واحسبه قوياً ثم بأن لي أن المذهب الذي اخترناه أولاً هو الصحيح لأن ظن من هو معصوم عن الخطأ لا يخطئ والأمة في إجماعها معصومة من الخطأ ، وقال ابن قاضي الجبل : مذهب الحنابلة أن أخبار الآحاد المتلقاة بالقبول تصلح لإثبات أصول الديانات (١٨) .

٣- الخبر المشهور عند بعض الأصوليين :

ألف- رأى الظاهرية : ذهب الظاهرية إلى أن المشهور ليس قسماً من أقسام الحديث بل ينقسم الحديث عندهم إلى قسمين :

١- متواتر . ٢- آحاد .

والآحاد هو ما انحط عن حد التواتر وإن زاد رواه على ثلاثة أو أربعة ، يقول ابن حزم : "وأيضاً فإن الخبر وإن روي من طرق ثلاثة أو أربعة أو أكثر من ذلك فهو كله خبر واحد" (١٩) ، وسبب ذلك أن خبر الواحد العدل عند الظاهرية سواء روى بأكثر من طريق أم لم يرو ، وسواء تلقته الأمّة بالقبول أم لا ، يوجب العلم والعمل معاً ، وخبر الآحاد عندهم يتناول حكم المشهور والواحد معاً ، لذا فهم لا يعتبرون المشهور نوعاً خاصاً من الآحاد .

(يتبع)

الهوامش:

- (١) الظاهري ابن حزم "الإحكام في أصول الأحكام" : ٩٨/١ ، مكتبة الخانجي مصر ١٣٤٥هـ .
- (٢) السمرقندي أبو بكر محمد بن أحمد "ميزان الأصول في نتائج العقول" : ٣٢ ، دار أحياء التراث الإسلامي - قطر ١٤٠٤هـ .
- (٣) الشيرازي أبو إسحاق "اللمع في أصول الفقه" : ١٦١ ، محمد صالح أحمد منصور الباز - مكة المكرمة ١٣٢٥هـ .
- (٤) السمرقندي "ميزان الأصول" : ص/٣٢١ .
- (٥) البزدوي فخر الإسلام "أصول البزدوي" : ١٤٩ ، نور محمد كتب خانة - كراتشي بدون تاريخ .
- (٦) ابن قدامة "روضة الناظر وجنة الناظر" : ٤٦ ، المطبعة السلفية - القاهرة ١١٣٩هـ ، وانظر أيضاً أمدي سيف الدين "الإحكام في أصول الأحكام" : ٢٤٣/١ ، مطبعة المعارف - القاهرة ١٣٣٢هـ .
- (٧) الماوردي "أدب القاضي" (تحقيق يحيى هلال سرجان) : ٣٧١/١ ، مطبعة الإرشاد - بغداد ١٣٩١هـ .
- (٨) قرافى أحمد بن إدريس "شرح تنقيح العقول" : ص/١٥١ ، مطبعة الخير - مصر ١٣٠٦هـ .

ب- رأى الشوكاني : ينحو الشوكاني منحى آخر فيقسم الآحاد إلى

ثلاثة أقسام :

١- المستفيض . ٢- المشهور .

٣- خبر الواحد .

وتعريف المشهور عنده يتطابق مع تعريفه عند الأحناف حيث يقول : "والقسم الثالث المشهور وهو ما اشتهر ولو في القرن الثاني أو الثالث إلى حد ينقله ثقات لا يتوهم تواطؤهم على الكذب ولا يعتبر الشهرة بعد القرنين (٢٠) .

٤- الخبر المشهور عند المحدثين :

ذكرنا من قبل أن الحديث ينقسم عند جمهور المحدثين إلى قسمين : متواتر وآحاد ، ثم الآحاد ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- المشهور . ٢- العزيز .

٣- الغريب الذي يقال له الفرد .

ولكن ذهب بعضهم إلى أن المشهور قسم مستقل (٢١) واختلف المحدثون في تعريف المشهور ولا نجد للمشهور عندهم تعريفاً واحداً ، والمتقدمون من المحدثين قبل ابن حجر العسقلاني يعني حتى نهاية القرن الثامن كانوا يعرفون المشهور بطريق آخر ، حتى جاء الحافظ ابن حجر وعرف المشهور بأسلوب خاص به وجعل تعريفه جامعاً ومانعاً ووضح شروطه ، والمحدثون من زمنه إلى اليوم يأخذون بتعريف الحافظ ابن حجر وينقلونه في كتبهم بالاتفاق ، ونستطيع أن نقول : إن المحدثين ينقسمون إلى طبقتين في تعريف المشهور :

١- طبقة المتقدمين .

الإمام الدارمي نبتة من حياته ومناجاة في الحديث

مؤلفاته :

قال الحافظ ابن حجر عن أحمد بن

سيار: دون "المسند" و "التفسير" (١)، وقال

الزركلي: له "المسند" في الحديث وكتاب "التفسير" و "الجامع الصحيح" (٢)،

وذكر هذه الكتب الثلاثة الخطيب في "تاريخ بغداد" والذهبي في "تذكرة الحفاظ" والسمعاني في "الأنساب" والمحدث علي القارئ الحنفي في "المراقبة".

وقال عمر رضا كحّاله: من تصانيفه "السنن" و "الثلاثيات" كلاهما في

الحديث (٣)، وقال إسماعيل باشا البغدادي: له "الثلاثيات" في الحديث و

"كتاب السنة" في الحديث و "كتاب صوم المستحاضة والمتحيرة" و "المسند" في

الحديث، وهو يعرف بمسند الدارمي (٤).

وذكر صاحب "كشف الظنون" من تصانيفه "المسند" و "السنن" - وهما

واحد- و "الثلاثيات" و "كتاب السنة" و "كتاب صوم المستحاضة والمتحيرة"

وذكر الكتاني في "الرسالة المستطرفة" "المسند" و "السنن" و "الثلاثيات".

وأما "الجامع" فقال يوسف البان سركيس في "معجم المطبوعات العربية

والعربية": "الجامع الصحيح - في السنن - المشهور بمسند الدارمي، طبع في

كانفور موسوماً بسنن الدارمي، انتهى ملخصاً (٥).

فعلم بهذا أن "المسند" و "الجامع" اسمان لكتاب واحد، وهو الذي متداول

(٩) الدكتور محمود الطحان "تيسير مصطلح الحديث": ص/١٨-٢١، دار نشر

الكتب الإسلامية - لاهور بدون تاريخ.

(١٠) الإفريقي ابن منظور "لسان العرب" (تحقيق علي مثيري) - كتاب الشين

باب الرءاء.

(١١) عبد العزيز البخاري "كشف أسرار شرح أصول البزدوي": ٦٨٨/٢، مكتبة

الصنائع قسطنطينية.

(١٢) صحيح البخاري "كتاب فضائل الصحابة" باب فضائل أصحاب النبي ﷺ،

رقم الحديث/٣٤٥.

(١٣) السرخسي شمس الأئمة "أصول السرخسي": ٢٩١/١، مطبعة دار الكتاب

العربي - القاهرة ١٩٧٢م.

(١٤) الشيرازي "كتاب اللمع": ص/١٦٤.

(١٥) آمدي "الإحكام في أصول الأحكام": ٤٩/٢.

(١٦) ابن نجار الحنبلي "شرح الكوكب المنير" (تحقيق د/وهبة الزحيلي وغيره):

٢٤٦/٢، كلية الشريعة، الكتاب الخامس - مكة المكرمة.

(١٧) شيرازي "كتاب اللمع": ص/١٦٥.

(١٨) ابن نجار "شرح الكوكب المنير": ٣٥٢-٣٥٠/٢.

(١٩) ابن حزم الظاهري "الإحكام في أصول الأحكام": ١٤/١.

(٢٠) الشوكاني "إرشاد الفحول": ص/٤٤، إدارة الطباعة المنيرية - دمشق

١٣٤٨هـ.

(٢١) الحاكم وابن الصلاح وغيرهما كانوا يعتبرون المشهور نوعاً مستقلاً للحديث،

انظر: السطور القادمة.

إلى النبي ﷺ كصحيح البخاري وصحيح مسلم وكسنن الدارمي ، فإنها تسمى مسند الدارمي على ما فيها من الأحاديث المرسلة والمنقطعة والمعضلة على أن له مسندًا على الصحابة" (٨) .

أقول : وفي قول الكتاني : "على أن له مسندًا على الصحابة" ، نظر وتأمل ، لأنه لم يذكره أحد من أرباب الفهرس والمؤرخين غيره ، والله أعلم .

مرتبته بين كتب الحديث :

قال الحافظ ابن حجر : "وأما كتاب "السنن" المسمى بمسند الدارمي فإنه ليس دون السنن في المرتبة ، بل لو ضُمَّ إلى الخمسة لكان أولى من ابن ماجه فإنه أمثل منه بكثير" .

وقال السيوطي : "وقد سماه بعضهم بالصحيح - وهو الحافظ المغلطائي الحنفي (٩) - ، قال وقال شيخ الإسلام - يعني ابن حجر : ولم أر لمغلطائي سلفًا في تسمية كتاب الدارمي صحيحًا إلا قوله : إنه رآه بخط المنذري ، وكذا قال العلائي" . [كذا في "التدريب" و "كشف الظنون" ملخصًا]

وقال قوم من الحفاظ ، منهم ابن الصلاح والنووي وصلاح الدين العلائي والحافظ ابن حجر : "لو جعل مسند الدارمي سادسًا لكان أولى" (١٠) .

وكان العلائي ، يقول : "ينبغي أن يكون كتاب الدارمي سادسًا للخمسة بدل ابن ماجه ، فإنه قليل الرجال الضعفاء ، نادر الأحاديث المنكرة والشاذة وإن كانت فيه أحاديث مرسلة وموقوفة ، فهو مع ذلك أولى منه" (١١) ، وقال أستاذنا المحدث الجليل الشيخ عبد الرشيد النعماني الموقر - حفظه الله تعالى ورعا - : "وأما إضافة الدارمي بدل ابن ماجه فالقول به حادث وقع بعد إضافة سنن ابن ماجه إلى الكتب الخمسة ، وأول من قال ذلك الحافظ أبو سعيد خليل

بين العلماء اليوم ومعروف بـ "السنن" و "المسند" ، وكذلك "الثلاثيات" فإنه ليس له كتاب منفرد في الثلاثيات ، فيما أظن ، بل هي مذكورة في مسنده في مواضع شتى ، وهي خمسة عشر حديثًا ، وسنفر الكلام عليها فيما يأتي - إن شاء الله تعالى - ، وأيًا ما كان ليس الموجود عندنا من تصانيفه إلا هذا المسند المسمى بـ "السنن" أيضًا .

التعريف بـ "المسند" :

الكلام في تسمية الكتاب : ينبغي أن يسمى هذا الكتاب بالسنن دون المسند على الاصطلاح المشهور عند المحدثين ، لأنه مرتب على الأبواب لا على الصحابة ، ولكن اشتهر على السنة الناس بالمسند على خلاف ما هو المشهور عندهم كما عدّه الحافظ أبو عمرو ابن الصلاح في "علوم الحديث" من المسانيد وتبعه في ذلك كثير من العلماء المؤرخين كالذهبي في "العبر في خبر من غبر" و "دول الإسلام" وابن تغرى بردى في "النجوم الزاهرة" وابن عماد الحنبلي في "شذرات الذهب" وغيرهم .

قال صاحب "كشف الظنون" : وقد عدّه ابن الصلاح في المسانيد ، وهم في ذلك ، لأنه مرتب على الأبواب لا على المسانيد كذا في "شرح الألفية" (٦) ، وقال العراقي في "النكت" : واشتهر تسميته بالمسند كما يسمى البخاري كتابه بالمسند الجامع ، إلا أن مسند الدارمي كثير الأحاديث المرسلة والمنقطعة والمعضلة والمقطوعة ، ذكره البقاعي ، وقال الحافظ السيوطي : ومسند الدارمي ليس بمسند ، بل هو مرتب على الأبواب (٧) ، وقال محمد بن جعفر الكتاني : "وقد يطلق المسند عندهم على كتاب مرتب على الأبواب أو الحروف أو الكلمات ، لا على الصحابة ، لكون أحاديثه مسندة ومرفوعة أو أسندت ورفعت

ابن كيكليدي العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ وهو الإمام صلاح الدين العلائي -
رحمه الله تعالى - (١٢) .

أقول : نسلم أن القول بإضافة الدارمي بدل ابن ماجه حدث بعد إضافة
سنن ابن ماجه إلى الكتب الخمسة حيث قال ذلك أولاً الحافظ أبو الفضل المقدسي
المتوفى سنة ٥٠٧هـ كذا في شروط الأئمة ، لكن لا نسلم أن أول من قال ذلك
الحافظ العلائي المتوفى سنة ٧٦١هـ ، بل سبقه به الحافظ أبو عمرو بن الصلاح
المتوفى سنة ٦٤٣هـ والنواوي كما مر قريباً ، ثم راجعت في ذلك الشيخ النعماني
فقال : تفرد بهذا القول صاحب "الرسالة المستطرفة" فلا نعتمد عليه ، والله أعلم .
وقد عد المحدث الحجة الثابت الشيخ عبد العزيز الدهلوي - رحمه الله -
كتاب مسند الدارمي في الطبقة الثالثة من طبقات كتب الحديث الخمسة التي
احتج بها علماء الأمصار في القديم والحديث ، كما في رسالته بالفارسية
"العجالة النافعة" (١٣) .

وقال الحافظ ابن حجر : "قرأت بخط الشيخ علاء الدين مغلطائ أن مالكا
أول من صنف الصحيح ، وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه الدارمي ، إلى أن قال
الحافظ : وأما ما يتعلق بالدارمي فتعقبه الشيخ زين الدين بأن فيه الضعيف
والمنقطع ، لكن بقي مطالبة مغلطائ بصحة دعواه أن جماعة أطلقوا على مسند
الدارمي كونه صحيحاً ، فإني لم أر ذلك في كلام أحد ممن يعتمد عليه ، ثم
قال : كيف ولو أطلق عليه ذلك من يعتمد لكان الواقع بخلافه ، لما في الكتاب
المذكور من الأحاديث الضعيفة والمنقطعة والموضوعة ، والمؤطأ في الجملة أنظف
أحاديث وأتقن رجالاً منه ، ومع ذلك كله فلست أسلم أن الدارمي صنف كتابه
قبل تصنيف البخاري "الجامع" لتعاصرهما ، ومن ادعى ذلك فعليه البيان"
انتهى ملخصاً (١٤) .

أقول : وما قال الحافظ رحمه الله تعالى من أن في مسند الدارمي أحاديث
موضوعة ، محل نظر ومحتاج إلى البيان ، فإنه إنما قال بنفسه : "وأما كتاب
السنن المسمى بـ "مسند الدارمي" فإنه ليس دون السنن في المرتبة بل لو وضع إلى
الخمس لكان أولى من ابن ماجه ، فإنه أمثل منه بكثير" .

فإن كان فيه أحاديث موضوعة كسنن ابن ماجه كيف يصح أن يقال إنه ليس
دون السنن في المرتبة ، وأمثلة من ابن ماجه بكثير ، لأن من الثابت المقرر أن
السنن ليس فيها أي حديث موضوع عندهم ، وما حكم ابن الجوزي بالوضع على
بعض أحاديث السنن - يعني غير ابن ماجه - فهو بخلاف ما ثبت عند
المحدثين المبرزين والأئمة الأعلام والحفاظ المشاهير - رحمهم الله تعالى - .

وكذا كونه أمثل من ابن ماجه بكثير ليس إلا لأنه أكثر صحةً منه ، كما هو
ظاهر ، فإن كان في مسند الدارمي أيضاً أحاديث موضوعة كسنن ابن ماجه ، فما
وجه أفضليته وأمثليته منه ؟

وبالجملة أن "مسند الدارمي" وإن كان دون "الصحيحين" و "سنن النسائي"
في المرتبة فهو ليس دون "سنن الترمذي" فيها ، وأمثلة بكثير من ابن ماجه .

وما سمي الحافظ مغلطائ الحنفي "مسند الدارمي" صحيحاً فلعله على
الأغلبية ، كتسميتهم السنن الأربعة صحاحاً ، فلا اعتراض عليه عند من
أنصف وعرف القدر ، فإن قيل كيف يصح قول مغلطائ : "أن مالكا أول من
صنف الصحيح وتلاه أحمد بن حنبل وتلاه الدارمي" في حين أنه لم يصنف
الدارمي مسنده قبل تصنيف البخاري الجامع على ما هو الظاهر لتعاصرهما ،
ومن ادعى ذلك فعليه البيان ، هكذا اعترض ابن حجر على مغلطائ فيما مر
قريباً ، قلت : وتعقبه في ذلك العلامة الفاضل محمد بن إسماعيل الأمير

الصنعاني صاحب "سبل السلام" حيث قال : ومن ادعى تقدم تصنيف البخاري على تصنيف الدارمي فعليه البيان أيضاً (١٥) .

عدد أحاديث مسند الدارمي وأبوابه :

قال أكبر محدثي الهند قديماً وحديثاً المحدث الحجة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي (المتوفى سنة ١٢٣٩هـ) في كتابه الفريد "بُستان المحدثين" :
 "وفي النسخة الموجودة لمسند الدارمي ثلاثة آلاف وخمسمائة وسبعة وخمسون حديثاً ، وهذه الأحاديث موزعة في ألف وأربعمائة وثمانية أبواب ، والله أعلم (١٦) .

ثلاثيات الدارمي :

وهي التي فيها بين المحدث وبين النبي ﷺ ثلاثة رواة وقد اعتنى العلماء بتأليف ثلاثيات الإمام أحمد بن حنبل والإمام البخاري والإمام الدارمي وغيرهم منفردة مستقلة وبالتعليق عليها والشرح لها للتنبؤ به بشأنها ، وليس هذا موضع تفصيلها ، من شاء التفصيل فليراجع "كشف الظنون" وأمثاله من الكتب .

قال الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي في مقدمة "لمعات التنقيح" شرح "المشكاة" : "كتاب الدارمي - أي مسنده الموجود بأيدينا - أحرى وأليق بجعله سادس الكتب ، لأن رجاله أقل ضعفاً ، ووجود الأحاديث المنكرة والشاذة فيه نادر ، وله أسانيد عالية ، وثلاثياته أكثر من ثلاثيات البخاري" ، وبه - أي بأن ثلاثياته أكثر من ثلاثيات البخاري - قال الكتاني في "الرسالة المستطرفة" (١٧) وعبد الوهاب عبد اللطيف في تعليقه على "التدريب" (١٨) ، وقال شيخ الحديث العلامة محمد زكريا السهارنفوري في مقدمة لامع الدراري :
 "وثلاثيات البخاري اثنان وعشرون حديثاً" .

أقول : هذا وهم ، والصواب أن ثلاثيات مسند الدارمي خمسة عشر حديثاً ، كذا ظهر لي بعد التتبع البالغ والتفحص الكامل في مسنده ، وقد صرح به ملا كاتب جلبي في "كشف الظنون" (١٩) حيث قال : "ثلاثيات الدارمي خمسة عشر حديثاً وقعت في مسنده بسنده" ونقله شيخ الحديث العلامة محمد زكريا السهارنفوري في مقدمة "اللامع" (٢٠) واختاره صالح الفلاني - المتوفى سنة ١٢١٨هـ - في "قطف الثمر" (٢١) حيث قال : "وجملتها - أي ثلاثيات الدارمي - خمسة عشر حديثاً" .

واختاره أيضاً الكتاني في "الرسالة المستطرفة" (٢٢) في موضع آخر ، إذ قال : "ثلاثيات الدارمي في سننه خمسة عشر حديثاً" ولقد راجعت بصدد ذلك الشيخ عبد الرشيد النعماني أيضاً ، فقال : "وثلاثيات الدارمي في سننه خمسة عشر حديثاً" ، ولا أدري من أين ؟ ، قال الشيخ عبد الحق المحدث الدهلوي :
 "إن ثلاثيات الدارمي أكثر من ثلاثيات البخاري ، فلم أطلع على مأخذه مع التفحص فيما عندي من كتب من قبله من المصنفين ، هذا ما عندي ، والله أعلم وعلمه أتم .

أسماء شيوخ الدارمي في - الثلاثيات في مسنده

وعدد هذه الثلاثيات المروية عنهم على ترتيب صفحات الكتاب :

- ١- جعفر بن عون بن جعفر المخزومي أبو عون الكوفي ، صدوق ، من تلامذة الإمام أبي حنيفة رضي الله عنه ، من التاسعة ، أخرج عنه حديثين .
- ٢- يزيد بن هارون بن زاذان أبو خالد الواسطي ، أحد الأعلام الحفاظ المشاهير ، من السادة الحنفية ، من التاسعة ، أخرج عنه سبعة أحاديث .
- ٣- أبو عاصم ضحاك بن مخلد النبيل البصري الثقة الحافظ الفقيه ، من السادة الحنفية ، من التاسعة ، أخرج عنه ثلاثة أحاديث .

٤- أبو نعيم فضل بن دكين الكوفي الثقة الحافظ ، من أصحاب الإمام أبي حنيفة ، من التاسعة ، أخرج عنه حديثاً .

٥- مؤمل بن إسماعيل أبي عبد الرحمن البصري ، من صغار التاسعة ، أخرج عنه حديثاً في رمي الجمار ركباً ، وأخرج هذا الحديث أيضاً عن أبي عاصم ضحاك وأبي نعيم اللذين مرّ ذكرهما آنفاً .

٦- يعلى بن عبيد بن أبي أمية الكوفي الثقة الحافظ ، من السادة الحنفية من كبار التاسعة ، أخرج عنه حديثاً (٢٣) .

فظهر بذلك أن الدارمي أخرج الثلاثيات كلها عن السادة الحنفية أو عن تلامذة الإمام أبي حنيفة ، وكذلك أخرج البخاري العشرين من ثلاثياته في صحيحه - التي يبلغ عددها إلى اثنين وعشرين حديثاً - عن تلامذة أبي حنيفة أو تلامذة تلامذته (٢٤) .

نبذة من أقواله في الرواة وكلامه في الأحاديث

من حيث الصناعة الحديثية في "المسند" :

كان رحمه الله تعالى من أئمة الجرح والتعديل في عصره ، وكان كلامه في الرواة والأحاديث حجة عند أهل المعرفة بهذا الشأن ، قال الإمام أحمد بن حنبل ، حين سئل عن الحماني : تركناه بقول عبد الله بن عبد الرحمن السمرقندي ، لأنه إمام ، رواه الخطيب في "تاريخ بغداد" (٢٥) وذكره الحافظ السخاوي في "الإعلان بالتوبيخ" (٢٦) ، وليس المقصود هنا استقصاء جميع أقواله في ذلك ، بل أردت أن أذكر طائفة من كلامه في الرواة من الجرح والتعديل وأقواله في الأحاديث من حيث الصناعة الحديثية على طريق أئمة الجرح والتعديل ، كالنموذج على ترتيب صفحات الكتاب ، وهي فيما يلي :

قال أبو محمد - يعني الدارمي : ما أظنه - أي جريراً - سمعه - أي قول ابن سيرين : "كانوا لا يسألون عن الإسناد ثم سألوا بعد .. إلخ - من عاصم (٢٧) ، قال أبو محمد : وهذا - أي حديث أبي أيوب الأنصاري - مرفوعاً : إذا أتيتم الغائط فلا تستقبلوا القبلة .. إلخ - أصح من حديث عبد الكريم - وهو حديث سهل بن حنيف - مرفوعاً : إذا خرجتم فلا تستقبلوا القبلة ولا تستدبروها ، وعبد الكريم شبه المتروك (٢٨) .

قال أبو محمد : هذا - أي ما روى عن محمد بن زياد أنه قال : سمعت أبا هريرة ، قال : كان يمر بنا والناس يتوضئون من المطهرة ، ويقول : أسبغوا الوضوء ، قال أبو القاسم : ويل للأعقاب من النار - أعجب إلى من حديث عبد الله بن عمر - وهو قول رسول الله - : ويل للأعقاب من النار أسبغوا الوضوء (٢٩) ، يعني أن قول : "أسبغوا الوضوء" ليس من قوله - بل هو من قول أبي هريرة ، والله أعلم .

قال أبو محمد : هذا - يعني حديث عائشة : كان رسول الله - يبدأ فيغسل يديه .. إلخ - أحب إلى من حديث سالم بن أبي الجعد - وهو حديث ميمونة ، قالت : وضعت للنبي ماءً فأفرغ على يديه .. إلخ (٣٠) .

قال أبو محمد : يعقوب هو ابن القعقاع قاضي مرو وأبو يوسف شيخ مكي (٣١) ، سئل عبد الله - يعني الدارمي - علي بن طلق له صحبة ؟ قال : نعم ، (٣٢) ، قال عبد الله : حديث الثوري أصح - وهو ما روى عن أبي جحيفة أنه رأى بلالاً أذن قال : فجعلت أتبع فاه هاهنا وهاهنا بالأذان (٣٣) .

قال أبو محمد : لا أعلم أحداً رفعه - أي قوله - : إن أول ما يحاسب به العبد الصلاة .. إلخ - غير حماد ، قيل لأبي محمد صح هذا ؟ قال : إي (٣٤) .

قال أبو محمد : الحديث ، كلهم أرسلوه - وهو حديث أبي سعيد الخدري مرفوعاً : الأرض كلها مسجد إلا المقبرة والحمام (٣٥) .

قيل لأبي محمد : عبد الرحمن بن معاذ له صحبة ؟ قال : نعم (٣٦) .

قال عبد الله : سفيان لم يسمع من ابن أبي نجيح يعني هذا الحديث - وهو قول ابن عباس : ما قاتل رسول الله - ﷺ - قوماً حتى دعاهم (٣٧) .

قال عبد الله : أرجو أن يكون حميد سمع من عبد الله ، يعني عبد الله بن مغفل (٣٨) .

قال عبد الله : لا علم لي به أن الحسن سمع من أبي سعيد ، يعني أبي سعيد الخدري (٣٩) .

الهوامش :

(١) تهذيب التهذيب : ٢٩٥/٥ . (٢) الأعلام : ٥٦٣/٢ .

(٣) معجم المؤلفين : ٧١/٦ .

(٤) هدية العارفين : ٤٤١/١ .

(٦) كشف الظنون : ٤٣٣/٢ .

(٧) تدريب الراوي : ١٧٣/١ .

(٨) الرسالة المستطرفة : ص/٦٣ .

(٩) قال الحافظ ابن حجر في " الدرر الكامنة " في ترجمة مغلطائي ما تلخيصه : كان حافظاً عارفاً بفنون الحديث ، علامة في الأنساب ، لازم الجلال القزويني ، ولي تدريس الحديث بالظاهرية ، وكان ساكناً جامد الحركة كثير المطالعة والكتابة ، وقال الزركلي في " الأعلام " :

هو - أي مغلطائي - مؤرخ من حفاظ الحديث ، عارف بالأنساب ، نقادة ، له ما أخذ على المحدثين وأهل اللغة ، وتصانيفه أكثر ما مائة ، منها شرح البخاري في عشرين مجلداً وذيلاً على " التهذيب " وجمع أوهام " التهذيب " للمزى - انتهى .

(١٠) الرسالة المستطرفة : ص/١٣ .

(١١) فتح المغيث بشرح ألفية الحديث : ٨٤/١ .

(١٢) ما تمس إليه الحاجة لمن يطالع سنن ابن ماجه : ص/٣٦-٣٧ .

(١٣) العجالة النافعة - للشيخ عبد العزيز الدهلوي : ص/٥ .

(١٤) ملخص من " توضيح الأفكار لمعاني تنقيح الأنظار " بحث " ذكر أول من صنف في جمع الصحيح " : ج/١ ، ص/٣٧-٤٠ .

(١٥) توضيح الأفكار : ٣٩/١ . (١٦) ص/١١٨ - تعريب من الفارسية .

(١٧) ص/٢٩ . (١٨) ١٧٣/١ . (١٩) ٢٥٥/١ .

(٢٠) ١٨٧/١ . (٢١) ص/٢٣ . (٢٢) ص/٨٢ .

(٢٣) راجع لتراجم هؤلاء الأعلام " تهذيب الكمال " - للمزى ، و " تهذيب التهذيب " - لابن حجر ، و " تذكرة الحفاظ " - للذهبي ، و " التعريف " - بشيوخ الدارمي - المخطوط - لصاحب هذه المقالة وغيرها من كتب الرجال .

(٢٤) قاله المحدث الشيخ محمد زكريا الكاندهلوي في مقدمة : " لامع الدراري " : ١٠٣-١٠٢/١ .

(٢٥) ١٣/١٠ . (٢٦) ص/١٦٥ .

(٢٧) مسند الدارمي : ص/٦٠ . (٢٨) أيضاً : ص/٩١ .

(٢٩) ص/٩٥ . (٣٠) ص/١٠٢ . (٣١) ص/١١٥ . (٣٢) ص/١٣٥ .

(٣٣) ص/١٤١ . (٣٤) ص/١٦٣ . (٣٥) ص/١٦٨ . (٣٦) ص/٢٤٣ .

(٣٧) ص/٣٢٢ . (٣٨) ص/٣٣١ . (٣٩) ص/٣٣٨ .

**الدكتور محمد البهي ،
الرجل وفكره**

مقدم - الدكتور محمد شاهين

مدير مركز الأبحاث ، القاهرة - مصر

الأستاذ الدكتور محمد البهي (١٩٠٥-١٩٨٢م) - رحمه الله تعالى -
علم من أعلام الفكر الإسلامي المعاصرين .

والكتابة عنه ليست بالأمر السهل ، لأن فكره وكتاباتهِ كانت
أكاديمية منهجية ، تدور كلها في رحاب ورحابة الفكر الإسلامي :
شرحاً وتاريخاً ومنهجاً ، فأضاف بذلك إضافات بناءة إلى تاريخ الفكر
الإنساني ، وأبان بالتالي عن جمال الإسلام وكماله كمنهج حياة ،
وهداية من الله سبحانه .

تأثر بآراء وأفكار الإمام المرحوم الشيخ محمد عبده ، والشيخ جمال
الدين الأفغاني من قبله ، فكان أبرز علماء مدرسته ، والمؤيدين لآرائه
الإصلاحية ، فعاش - مع كتاب الله تعالى ، وهدى رسوله ﷺ - على
دربه ، وكانت رسالة الدكتوراه التي منحتها ألمانيا له عام ١٩٣٦م
بعنوان : "التربية الوطنية في مصر في نظر الشيخ محمد عبده" .

ولم تكن كتاباته قولاً مكروراً ، كما لم تكن عفوية أو غير ناضجة
.. بل كانت أصيلة ، وعميقة ورصينة ، توالى على نمط رفيع ،

وصدرت عن قناعة بالإسلام وبقين بالله تعالى ، فكانت من القلب ،
مروراً بذكاء الفهم .. ومثل هذه الأفكار تعرف طريقها إلى قلب القارئ
الرشيد وعقله .

وقد غطى جوانب الفكر الإسلامي - في كل أدواره وأطواره - تغطية
ذكية واعية ، أظهرت جمال الإسلام وكماله في قلوب معتنقيه ومحبيه ،
وردت عنه الحثوف السود التي كانت تتحيفه وتتناوشه من كل جانب
وفي كل عصر ، من مبغضيه وشانئيه .

وظل - رحمه الله - وفيما لفكره وخطه الذي رسمه في ظل كتاب الله
تعالى ، وسنة نبيه المصطفى ﷺ طول حياته ، كما تحكى عنه مجلة
"الأمة" القطرية ، في عدد ربيع الأول سنة ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢/٩/٩م
بحوار أخير قبل وفاته ، أجراه معه الأستاذ "جابر رزق" المحرر
بالمجلة المذكورة ، وجاء ذكره في هذا الكتاب .

كما أنه لم يخرج عن منهجه الذي اختطه لنفسه على أساس علمي
اكتسبه من دراسته الدينية الأصيلة في الأزهر الشريف ، ومن دراسته
-للدكتوراه- في الجامعات الألمانية ، على نحو ما كتبه عنه تلميذه
البار الوفي الأستاذ الدكتور "محمود حمدي زقزوق" عميد كلية أصول
الدين السابق - في مجلة الفكر الإسلامي التي تصدر في بيروت - بعنوان
: "حركة الفكر الإسلامي في النصف الثاني من القرن العشرين" .

وفيها رؤية واضحة لفكر الدكتور محمد البهي ، في مراحل
المختلفة ، لم يكتبها كاتب من قبل ، ومن ثم فقد كان الدكتور البهي
يثنى على تلك المقالة التي تدل على وعي وتفكير كاتبها ، وكان سعيداً

بها ، لأنها تشير بالتالي إلى أن الدكتور محمود زقزوق ، قد استفاد منهجياً وتنظيماً وعلمياً من البعثة التي أرسله ورشحه لها الدكتور محمد البهي ، كمبعوث للأزهر الشريف مع آخرين ، في الستينات .

قلنا : إن الدكتور البهي غطى بكتابه وكتبه تاريخ الفكر الإسلامي منذ نشأته حتى العصر المعاصر ، وبين أثر الإسلام وقيمه في توجيه الحياة والأحياء ، كما كشف عن زيف الفكر الإغريقي الوثني ، وتهافت الفكر المادي التاريخي ، وإلحاد الماديين ..

* فوضح في أول كتبه : "الجانب الإلهي من التفكير الإسلامي" عام ١٩٤٥م ، وثنية التفكير الإغريقي ، وعظمة التفكير الإسلامي في الجانب الإلهي .. وبالتالي وضح الإضافات البناءة من علمائنا ومفكرينا إلى الرصيد الإنساني في الحضارة ، وأن لهم عقلية تواكب عقلية غيرهم من العباقرة والمفكرين ، وأنهم لم يكونوا عالية على غيرهم ، كما لم يكونوا نقلة بريد ، وإنما لهم استقلالهم وإبداعهم في الرأي والفكر ، والذي جاء في هذا الكتاب يغطي حقبة طويلة تمتد حتى مشارف القرن السادس الهجري .

* ثم كتب (السهروردي) ، أو عن عالمة الثقافة في القرن السادس الهجري ، وقال لي يوماً -رحمه الله- : إنه يود أن يجد الوقت الكافي بين مشاغله العديدة ، ليعاود الكتابة عن هذه الحقبة في التفكير الإسلامي عند المسلمين .. غير أن المشاغل لم تترك له وقتاً لمزيد من الكتابة في هذا الصدد .

* وانتقل بعدئذ بالكتابة عن التفكير في العصر الحديث ، فكتب كتابه الرائع : "الفكر الإسلامي الحديث ، وصلته بالاستعمار الغربي" .. والذي كان يعرف به في المؤتمرات العلمية والرحلات ، كأنه صار علماً عليه ، وما تزال طبعاته تتوالى ، لأن موضوعه حيّ وجيد لا يسقط .
وقصة هذا الكتاب كما رواها لي -رحمه الله- أنه سافر أستاذاً زائراً لجامعة ماجيل في كندا عام ١٩٥٥م وهاله ما رآه من كتابة المستشرقين ضد الإسلام ، والهجوم على الإسلام بضراوة ، في الخارج ، فضلاً عن تهجم بعض أبناء المسلمين في الداخل .. ففضح هذه المواكبة على حرب الإسلام من مناوئيه ، ثم بين فضل الشيخ جمال الدين الأفغاني ، والشيخ محمد عبده ، والشاعر الفيلسوف محمد إقبال ، في الدفاع عن الإسلام والذود عنه ، وحمائته في العصر الحديث .

* وفي العصر الذي نحياه ، عصر التكنولوجيا الحديثة ، ومنجزاتها الهائلة .. واجه الإسلام تحديات عاتية من المادية والإلحاد ، حتى اهتزت أمامها القيم الروحية بعامه ، وباتت في موقف المنافق الضعيف ، وهنا توالى كتب الدكتور محمد البهي وكتابه تلاحق هذا الطوفان ، وتبين زيف الباطل ، وتكشف عن جمال الحق ، وتعيد للإسلام أصالته واعتباره وضرورة توجيهه للحياة الفاضلة بمستواها الإنساني الرفيع ، وتوالى كتبه في هذا الصدد ، تهدي في مجال : الاقتصاد ، والأسرة ، والاجتماع ، والحضارة ، وشئون الحكم والتوجيه .. إلى آخر ما جدّ من مشاكل ، فكان من كتبه في هذه الفترة : "الفكر الإسلامي المعاصر : مشكلات الحكم والتوجيه" .

و "الفكر الإسلامي المعاصر : مشكلات الأسرة والتكافل" .

و "الإسلام في حل مشكلات المجتمعات الإسلامية المعاصرة" .

و "الإسلام في الواقع الأيديولوجي المعاصر" .

و "الإسلام في حياة المسلم" . و "منهج القرآن في تطوير المجتمع" .

و "الدين والدولة من توجيه القرآن الكريم" .. إلخ

وعرفت هذه الكتب وغيرها طريقها إلى عقل القارئ المثقف في تودة،

حتى مست شغاف القلب مروراً بذكاء العقل ، و واجهت التحديات

المعاصرة ، لتبقى على نور السماء و وحي الله سبحانه .

• وتطغى موجة التحديات الإلحادية في عصر الحضارة المادية

الصناعية ، وتتنوع المشاكل وتكثر ، ويثار الغبار ضد المستوى الإنساني

الفاضل وقيم الإسلام ، ويشتد الهجوم في كل مجالات الحياة : الدينية،

والاجتماعية ، والاقتصادية .. ولا يهدأ ، بل يشتد تحديه وتصديه .

فكان أن توالى رسائل الأستاذ الدكتور محمد البهي ، رداً على هذا

الهجوم بموضوعية وذكاء قلما يتوفران إلا لمن حباهم الله الفهم والعلم

والمعيرة الذكاء .. يفند الشبه ، ويردّ الهجوم ، ويكشف الزيف ،

فتظهر الشمس ساطعة ، ويعلو الحق ، ويرعوى المبطلون والمزيفون ..

وهذه الرسائل الموضوعية ، هي التي تأخذ اليوم -بعد وفاة

صاحبها رحمه الله- اسم : الفكر الإسلامي المعاصر ، في كتاب يحمل

اسم إخوته في تغطية هذه الفترة من حياتنا المعاصرة .

• وعكف الدكتور محمد البهي بعد خروجه من الوزارة على كتاب

الله تعالى -بجانب الرسائل العديدة- يقرأه ، ويتدبره ، ويتفهم -بتودة

وبصيرة- مراميه ومعانيه ، فوضع التفسير الموضوعي ، للصور المكية فكان أول تفسير موضوعي للقرآن الكريم في نظرة منهجية وشمولية لكتاب الله تعالى ، فأمل أن يرى النور في مجلدات ، تصدر عن مكتبة وهبه التي احتضنت تراث الإسلام وكتب الدكتور البهي .

محمد البهي الرجل :

قدمنا لمحات موجزة عن فكر الدكتور محمد البهي ، وإن إلقاء

نظرة على قائمة الكتب التي خلفها ، أو قراءة كتاب بتمعن .. كفيل

بإعطاء القارئ فكرة موسعة عن عمله وثقافته الواسعة .

أما عن شخصيته فقد كان إنساناً ورجلاً بكل ما تحمل كلمة إنسان

من شرف وكرامة ، ورجلاً ينأى بنفسه عن كل ما يشين الرجل المسلم ،

أو يزرى به ، وعاش كريم النفس والخلق ، ولا أقول كريم المال ، لأنه

عاش ومات فقيراً .. لم يطلب مناعم العيش ، ولا طيبات الحياة ، ومن

ثم فلم ينعم بها .. فلم يكن له إلا راتبه ، ومعاشه .. وأما عائد كتبه

فقد كان لا يسمن ولا يغنى : فقد اقتنى زملاؤه الدور والضياع ، وبنى

نظراؤه البنايات ، وركب تلاميذه السيارات الفارهة .. وما نعم هو بشئ

من ذلك -وقد كان في مقدوره لو شاء وحاول- لأسباب تتعلق بالحفاظ

على مبدئه وكرامته وعزة نفسه كإنسان مسلم .. وكثيراً ما ذكر لي إذا

ما جاء ذكر ذلك- إن المال شيك يصرف في الحياة لكرامة الإنسان ،

وتنمية ذاته المعنوية .

ومن ودّ مزيداً من إلقاء الضوء على حياته الشخصية ، فليقرأ

سيرته الذاتية ، وما لاقاه في الحياة من مشقة - شديدة الوطأة على أمثاله - في كتابه : "حياتي في رحاب الأزهر : طالباً وأستاذاً.. ووزيراً" .
وما شكى من ذلك ، ولا ندب حظه ، ولا لام نفسه على عدم طلبه لمتع الحياة الدنيا ، فقد كان همه أكبر من ذلك : له في رسول الله أسوة حسنة ، وفي صحابة رسول الله قدوة طيبة ، وكل مبتغاه من دنياه أن يجعل القيم الإسلامية الإنسانية أصولاً وأهدافاً للمجتمعات الإسلامية في أقطارها بعد تحررها من استعمارها وقيودها .

ولشد ما كان يتهلل لسيرة العلماء المصلحين ، ودورهم في إصلاح الحياة ، حينما يكونون على مثال النماذج العفيفة الزاهدة في متع الحياة ، ليكونوا نبراساً ، ونماذج طيبة للقدوة في الإخلاص ..

وكثيراً ما ذكرني بهذه النماذج في خلال أحاديثي معه ، وصحبتني له كطالب سعد بصحبته والتلمذ عليه - من عام ١٩٥٤م حتى ١٩٨٢م - فيثني بالخير على : "السيد جمال الدين الأفغاني" ، والأستاذ الإمام "محمد عبده" ، والسيد "رشيد رضا" ، والشيخ "أبو الحسن الندوي" ، والشيخ "عبد الحميد بن باديس" ، والشيخ "البشير الإبراهيمي" .. وغيرهم - رحمهم الله تعالى - .

ويعيد على مسامعي بعض سيرتهم إذا أحس مني التلميح إلى بعثة - يرسلني فيها - إلى بلاد البترول الغنية ، ويرشدني برفق إلى أن البلاد الفقيرة أولى بالعون ، وبحاجة إلى نشر رسالة الإسلام والعربية فيها ..

وتحس وتلمس صدق ذلك ، حينما طلبت منه - رحمه الله - عام ١٩٦٤م ، أن يكتب مقدمة لتفسير الإمام عبد الحميد بن باديس - رحمه

الله - ، بعد أن قمت - مع الأستاذ محمد الصالح رمضان الجزائري - بجمعه من شقات ، ومراجعته من أخطاء ، والتعليق عليه للبيان ، وتصحيحه من الأخطاء .. كل ذلك لوجه الله تعالى ، وحباً في الجزائر المجاهدة ، وتقديراً ومحبة للإمام ابن باديس ، لكثرة ما حكى لي عنه الشيخ محمد الصالح رمضان .

تهلل الدكتور محمد البهي لذلك العمل ، وقدم للتفسير بمقدمة هادفة قوية تناسب الرجل وتفسيره لآيات الله .. ولتقديره لهذا الصنف من العلماء جاءت مقدمة تحمل رسالته التي عاش لها ، وتكشف عن أمانيه للإسلام والمسلمين ، وتشيد بالعلماء المخلصين ، فليراجعها من شاء .

وكأنما كان الدكتور محمد البهي يكتب عن حاله ونفسه ، ويصف زهده وجهاده وصبره ، وهو يقدم لتفسير "ابن باديس" عام ١٩٦٤م .

وقد أشفق عليّ من نشرها في حينها ، فقد كان فيها ما لا يرضى عنه حكام ذاك الوقت ، ولا تتلاءم وما يتبعونه من أسلوب في الحكم وتدبير الأمور .. غير أنني تشجعت ، ولم أحذف منها حرفاً ، وطبعت كما هي ، فجاءت قوية ومناسبة في مكانها ..

وسأنقل بضعة أسطر من هذه المقدمة ، لتشعر معي وتؤمن بصحة ما ذكرناه عن الرجل ، حتى لكأنه كان يتحدث عن نفسه ، وبالتالي كيف كان تقديره للمخلصين من العلماء العاملين ، والمنهاج الذي أعجبه ، والحظ الذي سار عليه ، والمجالات التي كتب فيها ، وتحدث عنها ، والتي يجب العناية بها ، والزهد والصبر في سبيلها ، جاء في مقدمة هذه الكلمة : .. إن عبد الحميد بن باديس ، رئيس جمعية العلماء

بالجزائر ، وبعث النهضة الإسلامية العربية فيها ، وقائد الثورة ضد الاستعمار الفرنسي في هذه البلاد العزيزة .. واحد من العلماء المصلحين ، والمفكرين الرواد في الوطن الإسلامي والعربي ، وهم - مع الأسف - لم يكونوا كثرة في العدد ، وإن كانوا قوة في الأثر .

إنهم كانوا قلة مع مالهم من خصائص فكرية وإيمانية ، تجعل منهم نماذج فقط .

والوقت الذي عاشوه - بما لهم من سمات ، وبما دار فيه من اتجاهات ، ووقع فيه من أحداث ، يرى هؤلاء فلتات خرجوا على طبيعته ، وشدوا عن سنن الحياة فيه .

إن "عبد الحميد بن باديس" حلقة في سلسلة ابتدأت بـ "جمال الدين الأفغاني" و "محمد عبده" في القرن التاسع عشر ، وثنت برشيد رضا في القرن العشرين .

إنه واحد من أولئك الذين رأوا الإسلام نظامًا لحياة الإنسان لأنه إنسان ، في كل وقت وفي أي مكان ، ورأوا الإيمان بالله غاية الحياة الدنيا ، ورأوا القرآن الكريم وحدة لها اكتفاؤها الذاتي في التوجيه ، واكتفاؤها الذاتي في التفسير ، واكتفاؤها الذاتي في تحديد معالم البشرية وتاريخها ، وقوانين تطورها .

ومن قبله رأى ذلك جمال الدين الأفغاني ، وترجم هذا الرأي محمد عبده في تفسيره ، وأفصح عنه رشيد رضا في مناره ..

لم يوافق ولم يمالئ ، ولم يطلب دينًا بدين ، ولا متاعًا عارضًا

بإيمان ، ولم يلبس في تذكيره ومجلسه وفي رسالة لباس الحرفة والمهنة ، ولم يخدع نفسه ومواطنيه .

لم ير الحياة مسجدًا ومنبرًا فحسب ، وإن كان يرى أن المسجد إذا أقيم لله ، ونؤدى فيه باسم الله ، وعرف فيه الله حق معرفته ، كان قوة فيها ، وأصلًا لتوجيهها .

وإنما رأى بجانب المسجد مجال التعليم ، ومجال الاقتصاد ، ومجال الفن والصناعة ، ومجال النشاط الرياضي .. ومجال القلم والكتابة .

رأى ذلك كله الحياة ، فلم يعف نفسه من واحد منها ، أسهم في كل منها بما يسهم به الرائد والمؤمن ، وأنتج وأثمر ، ولذا كان مصدر حياة ، ومبعث نهضة .. مبعث نهضة للعروبة والإسلام ، فهو الأب والمعلم والرائد والكاتب ، والقُدوة بعمله وإيمانه قبل منطقته وحديثه .

ولم يكن في حياته التي عاشها بأحسن حالاً من جمال الدين الأفغاني ، ولا من رشيد رضا : فلم يذق فيها إلا مرارة المؤامرات والمناورات ، ولم يسمع فيها إلا صوت النشاز ممن احترقوا الدين لخدمة الاستعمار ، ولم ير فيها إلا صنوف القسوة من المستعمرين .

ومع ذلك لم يشعر بشقاء ، لأنه لم يطلب مادة فحرم منها ، وإنما طلب كفاً وخاضه إلى آخر مرحلة فيه ، ودعا الله أن يديم عليه الإيمان به فاستجاب له ، ومن يعيش للكفاح وبإيمان بالله فيه لا يرى إلا نوره ، ولا يحس إلا راحة النفس ، وطمانينة فيما يأتي من عمل ، مهما لقي من متاعب .

قراءة في كتاب :

"الغناء في الإسلام"

محمد مصطفى عبد القدوس الندوي

أستاذ دار العلوم سبيل الإسلام - حيدرآباد

مؤلفه العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسيني ، أمين ندوة العلماء العام الأسبق ، صاحب "نزهة الخواطر" ، ينتهي نسبه النبيل إلى الحسن بن علي ابن أبي طالب ، ولد لثمانية عشرة ليلة من شهر رمضان سنة ١٢٨٦هـ في زاوية السيد علم الله ببلدة رائ بريلي من أعمال لكاناؤ - الهند ، وتوفي لخمس عشرة ليلة من شهر جمادى الثانية سنة ١٣٤١هـ .

إنه نشأ وترعرع على الخير والصلاح ، وتربى في حجر الدين والعلم ، وتلقى العلوم الإسلامية النقية من أشهر علماء عصره بلكاناؤ وبوفال ، وشهد الرحال إلى دلهي وباني بت ، وسهارنפור ، وسرهند ، وديوبند من مدن الهند ، واجتمع مع العلماء والمشايخ ، ونهل من معيهم ما نهل ، واستفاد منهم ما قدر له ، وقرأ الطب أيضاً على الطبيب الشهير عبد العلي ، وبرع فيه ، وكان عالماً متديناً ، راسخ القدم في آداب اللغة العربية والفارسية والأردية ، وشاعراً مجيداً ، وبارعاً في الفقه ، والحديث ، والتفسير ، والسير ، والتاريخ ، وكان منقطع النظر في العلم بأحوال الهند ، وبيئاتها ، ورجالها ، وثقافتها وحضارتها في عهد الدولة الإسلامية ، وله عدة مصنفات جليلة مؤقرة قيمة بالعربية والفارسية والأردية ، فمن بينها بالعربية كتابه "الغناء في الإسلام" الذي صدر حديثاً بتحقيق الأستاذ

"إن عبد الحميد بن باديس" لم يكن شخصاً ، وإنما كان قبساً من نور الله ، كشف به ظلام الاستعمار في الجزائر ، وهدى به قومًا كادت تضلهم ظلمته ، وتيتسهم محنته ، وأصبحوا بذلك أقوياء بعد ضعف ، ووحدة بعد فرقة ، وأصحاب أمل في الحياة بعد يأس منها .

وطالما كتاب الله باق فيهم - وهو ذلك الكتاب الذي أشع به النور عبد الحميد بن باديس - فإنهم لن يضلوا ، ولن يتفرقوا ، ولن ييأسوا أبداً أه .

فالدكتور محمد البهي يرى أن واجب العلماء المصلحين اتخاذ النهضة الإسلامية غرضاً للجهاد والعمل على تحقيقها ، وأن تكون النهضة شاملة لكل جوانب ومناحي الحياة ، وأن الإيمان بالله هو غاية الحياة الدنيا ، وأن للقرآن هيمنة ، وفيه اكتفاء ذاتي في التوجيه في شتى المجالات ، وأن على العالم أن يكون قدوة ، ومستقلاً ، وزاهداً ، وبصيراً بما حوله ، وأن المسجد يتسع لكل مجالات الحياة في التوجيه ، إذا أحسن استعماله .

وأحسب الدكتور محمد البهي - والله حسيبه - عاش هذه الحياة ، وجاهد في سبيل هذه المثلى العليا ، والمستوى الإسلامي الرفيع ، وصبر على ما ناله من أذى وسوء فعل وتقدير من غير الفاهمين لرسالة الإسلام في موقعها الصحيح ، ومن غير المقدرين لأقدار الرجال ..

غير أننا نرجو أن يكون ما قدم لأمته وإسلامه في ميزان عمله ، يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .

رحم الله أستاذنا الدكتور محمد البهي رحمة واسعة ، وأمطر عليه شآبيب رحمته ورضوانه ، ونقع بعلمه ، وجزاه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء .

بلال عبد الحي الحسني الندوي وتعليقه ، وتحلى بالطبع سنة ١٤١٧هـ الموافق ١٩٩٦م من مجمع الإمام أحمد بن عرفان الشهيد لإحياء المعارف الإسلامية دار عرفات ، دائرة الشيخ علم الله ، رائي بريلي - الهند ، ويحتوي على ٢١٦ صفحة مجموعاً .

إن الغناء من أدوات التسلية والمتعة ، وعوامل التنشيط والتحميس في الكرب والأزمات ، وله تأثيرات بالغة في إزالة الأحزان والهموم ، وإدخال السرور على القلوب والنفوس ، وقد تنوعت فنونه ، وتفننت الأجيال البشرية ، واخترعت له آلات وأدوات حديثة ، وجعل الناس يتخصصون فيها ، حتى بلغت إلى ذروتها ، قال سماحة العلامة الشيخ السيد أبو الحسن علي الحسني الندوي : "وتقدمت هذه الصناعة - إن صح هذا التعبير - تقدماً كبيراً ، حتى بلغت أوجها في القرون المتأخرة ، وفي مجتمعات راقية حساسة ، إن لم نسّمها أبيقورية ، فهي مجتمعات مدنية حساسة ، رقيقة الشعور ، طالبة للذة مهما كان مصدرها وموردها" (١) .

ومن سوء الحظ أن عادة إنشاد القصائد المثيرة للحب قد تطرقت في بعض زوايا الصوفية ، واستعانوا بذلك على إثارة الحب الكامن في النفوس ، وعلى إشعال الحماس الراقد في الطبائع ، والحث على حب الله والخشية له ، وسموه : "السماع" في لغة الزوايا ، واشتهر به في مصطلحات الصوفية الأخيرة ، وأصبح شعاراً لهم ، ولو كان ذلك ربما يؤدي إلى نقض التعاليم الإسلامية النبوية الخلقية ، وهم في الواقع ليسوا من الصوفية ، بل انتحلوا وسموا أنفسهم بهذا الاسم ، وإنما الصوفية حقيقة هم الذين كانوا على طريقة مرضية عند الإسلام (٢) راسخين في العلم وتمكين بالنواجذ بالأحكام الشرعية ، وبفضله تعالى كان هناك

منهم عدد كبير بعيداً عن تلك المنكرات كلها ، بل شنوا عليها الإنكار ، لذا كانت الحاجة ملحة إلى بحث مستقل جامع حول حكم الغناء وآلاته في الإسلام ، فقد وفق الله تعالى العلامة الشريف عبد الحي بن فخر الدين الحسني لتحقيق هذا العمل العظيم ، وأتاح له الفرصة لتوليه هذا العمل ، وإن كان صنف فيها العلماء ، ولكنهم أطنبوا فيها ، فشعر العلامة بتأليف وجيز تحريراً عن الإطالة مع الاستقرار والاستقصاء ، وحقق أمنيته التي كانت تجيش في ضميره بفضله تعالى وعونه ، وسمى ذلك : "الغناء في الإسلام" .

في الواقع يجدر هذا الكتاب أن يعد من الموسوعات الفقهية حول الغناء وآلاته ، وكفى عليه دليلاً بما قال سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وهو يلقي الضوء على منهج تأليفه : "فإنه تناول تفسير الآلات والغناء بتحقيقات لغوية وعرفية ، ونقل المذاهب في التحريم والترخيص ، شحنه بمعلومات فقهية وحديثية ، وعرض مذاهب الأئمة الأربعة في الغناء ، مع تفاسير دقيقة وأمينة ، وتناول الحديث عن المذاهب في ترخيص الآلات وتحريمها ، وأدلة المجوزين والمانعين في توسع وتحقيق ، وشرح آلات الغناء وتعريف بها" (٣) .

وقال المؤلف في مقدمة الكتاب بعد بيان وجه التأليف : "ورأيت التقصي للأقوال ، وترجيح بعضها على بعض ليكشف القناع عن وجوه السماع بوجه لطيف يحصل به المقصود بعون الرب المعبود" (٤) .

ويشتمل هذا الكتاب على بابين وخاتمة :

ففي الباب الأول نقل المذاهب في التحريم والترخيص ، وساق فيه ثلاثة فصول : الأول في ذكر من سمع الغناء ومن أباحه ، والثاني في بيان من حرمه أو كرهه ، وما قيل في ذلك ، والثالث في تذكرة المذاهب في ترخيص الآلات وتحريمها .

والباب الثاني في أدلة المجوزين والمانعين ، وضع فيه ثلاثة فصول أيضاً :
ففي الأول بيان أدلة المجوزين ، والثاني في بيان أدلة المانعين ، والثالث في النظر
على أدلة المجوزين ، وقارن أدلة الطبقتين كليهما ، وألقى على أجوبة
المجوزين الموسعين نظرة عميقة نقدية ، وأجاب عنها إجابة مقنعة تسلمها
العقول السليمة .

وقد ساق خلال بحثه الأصول والقواعد الفقهية أيضاً محتجاً بها ، وذكر
شروط قبول الحديث ، ليسهل ترجيح بعض الأحاديث والآثار على بعضها ،
والوصول إلى نتيجة حتمية ، وجاء في خاتمة الكتاب بالقول الفصل المعتدل في هذا
الموضوع في ضوء الأحاديث والروايات الصحيحة .

وقد تحلّى الكتاب بتقديم رائع قيم بقلم سماحة العلامة الشيخ الندوي ، وكما
أن في بدايته ترجمة المؤلف الوجيزة الجامعة بقلم نجله الأكبر الطبيب السيد عبد
العلي الحسني الأمين العام لندوة العلماء الأسبق ، أما التعليق عليه للأستاذ بلال
عبد الحي الحسني الندوي فقد ضاعف قيمته ، فإنه راجع نصوصه في المصادر التي
اعتمد عليها المؤلف واستفاد منها ، كالصاح الستة وشروحها ، ومسند أحمد ،
والسنن الكبرى - للإمام البيهقي ، ومجمع الزوائد - للهيثمي ، والمعجم -
للطبراني ، ونيل الأوطار - للشوكاني ، والجامع لأحكام القرآن - للقرطبي ، وروح
المعاني - للألوسي ، وخلاصة الفتاوى ، والهداية ، وفتح القدير ، والمغني - لابن
قدامة ، والقاموس المحيط وشرحه تاج العروس - للزبيدي ، ولسان العرب ،
وتلبيس إبليس - لابن الجوزي ، وإحياء علوم الدين وشرحه المفصل اتحاف
السادة المتقين - للزبيدي ، والكتب الأخرى في أسماء الرجال وغيرها ، وخرج
أحاديثه وأشار إلى نصوص المراجع مع التنويه بأسماء مؤلفيها وصفحاتها ، وشرح

اللغات المفردة ، واهتم بتعريف الأعلام الذين جاء ذكرهم في الكتاب ، واعتمد
عليهم المؤلف واستعان بأقوالهم وآرائهم القيمة ، فجاء تعليقا قيماً رائعاً مفيداً
مملوءاً بالمعلومات الوافرة والفوائد الجمّة .

فهنا اسعد بتقديم عصارة ما سجله المؤلف :

وإن الغناء لم يكن للعرب غير الحداء والنشيد ، كما في الأغاني ، وهو الذي
ورد في الأحاديث الصحيحة المرفوعة ، وبه يلحق البسيط ، فالغناء مباح حين
العرس ، والولائم ، وأيام العيد غيرها ، سواء كان نشيداً أو بسيطاً ، وأما الغناء
المنوع تحريماً أو كراهة على اختلاف الروايات عن الأئمة ، وهو الذي يقترن به
المنكر ، كغناء فيه ما لا يحل في الشرع ولا يجيزه ، كالتشبيب بامرأة مغنية ، أو
هجو لمسلم ، أو الفحش ، أو في أوقات تفوت الصلوات ، ونحو ذلك .

أما آلات الغناء من المزامير ، والأوتار ، والكوبة والقنين وغيرها ، فلم يرد
فيها ما يصلح للاحتجاج نفيّاً ولا إثباتاً ، إلا في الدف ، الذي يدل على إباحته
الحديث الصحيح ، وجاء ذكر المعازف في الحديث يصح الاحتجاج به ، ولكن
جرى الاختلاف في شرحها وإطلاقها ، وقد أتى المؤلف بما ترجح عنده في هذا
الباب ، فقال :

"والذي ظهر للعبد الضعيف ، سامحه الله ، ولم أر من تعرض له من شراح
الحديث أن التحويل في مدلول المعازف على أئمة اللغة ، ومنهم الجوهري ، فإنه
قال في صحاحه : اللهو ، وقيل : صوت الملاهي ، وزاد صاحب القاموس : الغناء ،
وزيادته صحيحة ، لما ورد في حديث عائشة - رضي الله عنها - عند البخاري في
رواية له في باب الهجرة : "وعندي قينتان تغنيان بما تعازفت الأنصار يوم
بعثت" الحديث ، فاقصر مدلول المعازف على الغناء وآلات الملاهي" (٥) .

فإن أريد بالمعازف الغناء ، فالمراد به الغناء المقترن به المنكر ، وهو حرام بالاتفاق وأما الغناء المطلق فقد تحقق جوازه بأدلة واضحة مبسوسة في الكتاب ، ومن أراد التفصيل فليرجع إليه ، وإن أريد بها آلات الملاهي ، فهذا عام خص عنه الدف واليراع .

وأما ما اعتاده المتصوفة من استماع الغناء بالمزامير والأوتار من الرجال المتدربين بالتمطيط والتكسير والتهيج ، ويزعمون أنها ترق القلب ، وتثير جذوة الإيمان ، وتهيج الحنين والاشتياق إلى الله - عزوجل - ، فهذا زعم باطل ، ولا أصل له في حياة رسول الله ﷺ ، والصحابة ، والتابعين .

وأما ما تعوده أهل الخلاعة والمجون ، وشاع في العصر الراهن أنهم يحتفلون للغناء ، ويجتمعون لاستماعه برغبة وشوق ، ويسمعون من المغنيات المتجاهرات في الفسق اللائي يغنين سافرات ، وعليهن ثياب رفاق ، ويرقصن مائلات ، فلا اختلاف في حرمة .

الهوامش :

- (١) تقديم "الغناء في الإسلام" بقلمه : ص/٤ .
- (٢) راجع رد المحتار ، كتاب الوقف ، مطلب في الوقف على الصوفية والعميان : ٤٧٢/٣ ، ط.باكستان .
- (٣) تقديم "الغناء في الإسلام" بقلمه : ص/٧ .
- (٤) مقدمة المؤلف لنفس المصدر : ص/٢٤ .
- (٥) الغناء في الإسلام : ص/٢٠٥-٢٠٦ .

رابطة الأدب الإسلامي العالمية

و ندوة "أدب الوصايا والمواعظ"
في حيدرآباد (الهند)

بقلم : الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي

عقد مكتب شبه القارة الهندية لرابطة الأدب الإسلامي العالمية ، الندوة العلمية الثالثة عشرة في حيدرآباد (دكن) في فترة ١-٣/من نوفمبر ١٩٩٦م-الموافق ١٨-٢٠/من جمادى الآخرة ١٤١٧هـ ، وكان موضوعها المواعظ والوصايا ، وقد استضافت هذه الندوة دار العلوم سبيل السلام .

ولأهمية الموضوع ، وأهمية موضع انعقاد الندوة ، وصلة العلماء والباحثين بهذه المدينة التي يعتز بها التاريخ الإسلامي في الهند ، وصل عدد كبير من المندوبين والمشاركين في الندوة من مختلف أنحاء الهند ، ومن ماليزيا والمملكة العربية السعودية ، ففاقت هذه الندوة بعدد المندوبين ، كما فاقت بعدد البحوث المقدمة إلى الندوة في مختلف اللغات .

بلغ عدد المندوبين مائة مندوب ، وبلغ عدد البحوث خمسين بحثاً ، كانت عشرة بحوث بالعربية ، وبحث واحد بالإنجليزية ، والباقي باللغة الأردية .

الجلسة الافتتاحية:

عقدت الجلسة الافتتاحية في ١/نوفمبر ١٩٩٦م بآي من الذكر الحكيم تلاها الشيخ محمد أجمل، ثم أنشد أحد الطلبة نشيدًا إسلاميًا للدكتور محمد إقبال، ثم أنشدت للأستاذ مسرور أحمد قصيدة في مدح رئيس الرابطة سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، ذكر فيها خدماته العلمية والدعوية ودور الأدب الإسلامي في خدمة القضايا الإسلامية والفن، وألقى فضيلة الشيخ محمد رضوان القاسمي الأمين العام لدار العلوم سبيل السلام ورئيس لجنة الاستقبال، كلمة الترحيب، رحب فيها بالندوبين وشكر رئيس رابطة الأدب الإسلامي سماحة العلامة الشيخ الندوي على اختياره لهذا المكان لانعقاد الندوة، وعرض تاريخًا موجزًا لمدينة حيدرآباد، ومآثرها في خدمة العلم والأدب والفن في تاريخها الإسلامي المجيد، وألقى الضوء على الأدب الإسلامي ودوره، وأهمية الموضوع الذي يدور حوله البحث والنقاش في الندوة.

وبعد كلمة الترحيب قدم فضيلة الأستاذ محمد الرابع الحسيني الندوي تقرير السكرتير، استعرض فيه الندوات العلمية السابقة ومواضيعها، وأهمية هذه الندوة، ومحاور الموضوع الذي يدور حولها البحث، ونظام الجلسات، ورحب بالندوبين، وخاصة المندوبين الذين وصلوا من خارج الهند، وتمنى لهم حسن الإقامة والراحة الكاملة.

وتحدث سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، فقال: "تنعقد هذه الندوة في مدينة حيدرآباد عاصمة الإمارة

الآصفية السابقة التي لعبت دورًا في خدمة العلم والأدب، لا ينسأه التاريخ، وذكر بصفة خاصة دائرة المعارف الإسلامية التي نشرت كتبًا قيمة لاتستغني عنها المكتبة الإسلامية العالمية، وذكر في هذا الصدد الموسوعة التاريخية نزهة الخواطر للعلامة الشريف عبد الحي الحسيني الذي طبع من دائرة المعارف في ٨/مجلدات، و"الهند في العهد الإسلامي" اللذين لا يوجد لهما نظير في العالم في احتواء الموضوع.

وشكر سماحته دار العلوم سبيل السلام على استضافة هذه الندوة. وأكد سماحته أهمية ربط العلم بالدين، وترشيد الأدب والفن ليؤدي دور البناء والإصلاح، وقال: إن انفصال الأدب والعلم عن القيم والإرشاد السماوي أدى إلى انحرافهما عن خدمة الإنسانية، وأصبحت وسيلة للتخريب والإفساد، ثم ذكر سماحته تأثير المواعظ والوصايا وخصائصهما الفنية في كلام الصالحين والمربين، ودعا إلى إبراز الجوانب الفنية لهذه المآثورات.

ونياحة عن الوفود تحدث الدكتور عدنان علي رضا النحوي عضو رابطة الأدب الإسلامي، فقال: إن تاريخ الهند الإسلامي جزء من التاريخ الإسلامي العالمي، فقد ساهم المسلمون في الهند في مجالات متعددة من الثقافة والحضارة الإسلامية، وذكر صلته بسماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي وندوة العلماء، وقال: إن المسلمين في الهند يسعون للاحتفاظ بشخصيتهم الإسلامية، ويواجهون الأخطار المحدقة بهم، وهم في هذا السعي يجب ألا يشعروا بأنهم يسعون وحدهم، بل العالم الإسلامي كله يؤيدهم في مساعيهم ويساندهم، وذكر مآثر التاريخ الإسلامي في الهند.

وقال الدكتور عدنان النحوي: إنه عندما يزور الهند يكون نصب عينه ثلاثة عوامل، التعرف على الجهود العلمية والأدبية لعلماء الهند، وفي مقدمتهم علماء ندوة العلماء في رعاية سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي، ولقاء سماحة العلامة الشيخ الندوي، ومشاهدة هذه الوجوه النيرة من جماهير المسلمين في الهند الذين يتمسكون بالإسلام، ويضحون في سبيله، ويواجهون مكائد الأعداء ومخططاتهم لطمس معالم الإسلام وتاريخه المجيد.

وتحدث بهذه المناسبة سعادة الأستاذ محمد يونس سليم حاكم ولاية بيهار سابقاً، فقال: إن علماء الهند خلدوا خلال مائتي سنة مآثر لا تنسى في العلم والأدب، ونقلوا ثمار العلوم والآداب من اللغات الأخرى إلى اللغة الأردية، فأصبحت هذه اللغة الفتيّة غنيّة بها، وتقف الآن في مصاف اللغات العالمية الراقية الحافلة بالعلوم والآداب. وأعرب عن أسفه بأن المؤسسات العلمية التي كان لها تاريخ مجيد في حيدرآباد تواجه اليوم إهمالاً وإغفالاً من الحكام في هذا العهد، مثل دائرة المعارف العثمانية التي أصبحت اليوم عاطلة عن العمل وفاترة لعدم توفر وسائل مادية لائقة، لأن الحكومة التي كانت تساندها في السابق لا تهتم اليوم بأمورها، ويخشى أن تنطفئ هذه الشعلة، ولفت اهتمام المسؤولين والقادة المسلمين وخاصة سماحة العلامة الشيخ الندوي إلى دعم هذه المؤسسة العلمية التاريخية، وأن يلفت انتباه الحكومة المركزية إلى مساندها.

وفي ختام الجلسة الافتتاحية شكر الأستاذ خالد سيف الله الرحماني المندوبين الذين تجشموا مشاق السفر لحضور هذه الندوة، والحاضرين الذين جاءوا للاشتراك من مناطق بعيدة من حيدرآباد والمناطق المجاورة لها، وقدم ملخصاً للبرامج القادمة و انتهت الجلسة بدعاء سماحة العلامة الشيخ الندوي.

اشترك في الجلسة الافتتاحية والجلسات التالية علاوة على المندوبين عدد كبير من وجهاء المدينة وقادة الفكر ورؤساء الجمعيات الإسلامية والمؤسسات الاجتماعية والثقافية، والصحفيون، ونقلت مداورات جلسات الندوة بتفصيل في الصحف اليومية.

وزعت الندوة على ست جلسات للمقالات، وانعقدت الجلسة الأولى للمقالات في ١/نوفمبر ١٩٩٦م بعد صلاة المغرب، في قاعة المحاضرات، التي أنشئت حديثاً في الطابق الأرضي لجامع عمر بن الخطاب الذي افتتحه سماحة العلامة الشيخ الندوي قبل صلاة الجمعة في ١/نوفمبر ١٩٩٦م.

عقدت الجلسة الأولى برئاسة الشيخ يحيى بن عبد الله المعلمي، قدم فيها سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي مقالته حول أدب المواعظ، والشيخ عمر بن حامد الجيلاني مقالته حول مواعظ الشيخ عبد القادر الجيلاني، وقدم الشيخ عبد الله مقالة باللغة الإنجليزية عن مواعظ الشيخ محمد يعقوب المجددي في ضوء كتاب "ساعة مع أهل القلوب" لسماحة العلامة الشيخ الندوي - حفظه الله تعالى -.

السنبهلي ، والأستاذ محمد خالد الندوي الغازيفوري ، والأستاذ عبد الله محمد الحسن الندوي ، والأستاذ نذر الحفيظ الندوي الأزهري ، والأستاذ نذير أحمد الندوي ، والأستاذ السيد حمزة الحسن ، والأستاذ آفتاب عالم الندوي .

وتحدث سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي وهو يفتتح المؤتمر فقال : إنه لا بد للمسلمين أن يدخلوا في الإسلام كافة ، من حيث العقيدة والعبادات والأخلاق والمعاملات وفقاً للقرآن الكريم ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا ادخلوا في السلم كافة ﴾ ، وشرح الأستاذ محمد عارف السنبهلي : عقيدة التوحيد وأهميتها في الإسلام شرحاً علمياً ، كما تحدث الأستاذ محمد خالد الندوي حول موضوع الرسالة وإطاعة الرسول ﷺ ، وناشد الأستاذ السيد عبد الله محمد الحسن الندوي المسلمين لتطبيق الشريعة الإسلامية وتنفيذها في حياتهم .

ولفت الأستاذ نذر الحفيظ الندوي انتباه النساء إلى مسئوليتهم وواجبهن نحو تكوين المجتمع الإسلامي النزيه ، كما أشار الأستاذ نذير أحمد الندوي إلى بركات ذكر الله تعالى .

وأكد البروفيسور محمد يونس النجرامي الندوي في كلمته الرئاسية على ترويج التعليم الديني والتوحيد وحب الرسول ﷺ وبالتالي طاعته وامتثال أوامره .

وذكر جميع الخطباء والمتحدثين في المؤتمر مآثر وخدمات علماء نجرام العلمية والدينية والدعوية بأسلوب مؤثر جذاب مليئاً بالعاطفة

مؤتمر إسلامي كبير في الهند

“حول الدعوة إلى التوحيد والتمسك بالكتاب والسنة”

بقلم : مراسل "المجلة"

٢٠/نوفمبر ، بسياران (مديرية رائ بريلي)

عقد مؤتمر إسلامي كبير في قرية بسياران المجاورة لجغديش فور في ١٩/نوفمبر مساءً ، وذلك بتعاون كل من جمعية المثقفين المسلمين ، وجمعية الشيخ محمد أويس النجرامي التعليمية التذكارية ، والأخيرة جمعية دينية وتعليمية لركن فور وبسياران ، وانعقد هذا المؤتمر الكبير حول النهضة التعليمية والدينية وترويجها وتعميمها ، اشترك فيه آلاف من الجماهير والشعب من مناطق ريفية من مديريات رائ بريلي ، وبارا بنكي وسلطان فور ولكناؤ ، كأمثال ركن فور ، وشيخن غاؤن ، ورستانغر ، وراجافور ، وأنهونا ، وجغديش فور ، وحيدر كره ، وببهولي ، وهاري نغر ، وسدهياوان ، ولرهيوان ، وما إلى ذلك من القرى والأرياف ، وافتتح المؤتمر الداعية الإسلامي والفكر الإسلامي الكبير سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسن الندوي ، ورأسه رئيس أكاديمية أردو الحكومية ومستشار رابطة العالم الإسلامي لشئون القارة الهندية البروفيسور محمد يونس النجرامي الندوي ، كما أدار الجلسة الأستاذ كمال أحمد الندوي .

واشترك في هذا المؤتمر كل من فضيلة الشيخ محمد الرابع الحسن الندوي مدير دار العلوم ندوة العلماء لكناؤ ، وفضيلة الأستاذ محمد واضح رشيد الندوي مدير صحيفة "الرائد" ، والأستاذ محمد عارف

والحماس ، وأشادوا بذكرهم وأثنوا عليهم ، وتستمر هذه الخدمات في هذه المنطقة كلها منذ مأتي سنة ماضية ، ومن أبرز هؤلاء العلماء المرموقين ومن ثمار هذه الخدمات والجهود الدينية الإسلامية البروفيسور محمد يونس النجرامي حفظه الله تعالى - وأبقاه ذخراً للإسلام والمسلمين .

واشترك عدد كبير من النساء المسلمات أيضاً في المؤتمر مع شدة البرودة وفصل الشتاء ، وما زال السامعون والمشاركون يأتون بالسيارات والباصات والشاحنات حتى نهاية المؤتمر .

وكان هذا المؤتمر ناجحاً جداً ، وقد رأى عامة الناس أنه لم يُشهد مثل هذا المؤتمر الإسلامي في هذه المنطقة إلا بعد مدة طويلة ، وسوف يكون لهذا المؤتمر أثر بعيد المدى في المستقبل - إن شاء الله تعالى .

دورة تنشيطية حول تعليم وتعلم اللغة العربية في الهند

الدكتور شفيق أحمد خان الندوي

الأستاذ المشارك في قسم اللغة العربية بالجامعة للمية الإسلامية

نظمت كلية هيئة التدريس بالجامعة المليية الإسلامية دلهي الجديدة ، دورة تنشيطية حول تعليم وتعلم اللغة العربية في الهند ، وذلك لمدة ٣ أسابيع ابتداء من ١٠/١٩٩٦م وحتى ١١/١٩٩٦م برعاية المجلس الأعلى لتمويل الجامعات الهندية الحكومية ، وبإشراف قسم

اللغة العربية بالجامعة ، قام بتنسيقها كاتب هذه السطور بمساعدة أساتذة وخبراء جامعات ، العاصمة الهندية ومعاهدها .

شارك فيها ٣٥/مدرسا بما فيهم ٣/مدرسات من مختلف الولايات الهندية ، بهدف تنشيط أدائهم الوظيفي ، وتذكيرهم بمختلف مناهج التدريس والاطلاع على الجديد فيها بالإضافة إلى التدبير في المشكلات التي تواجههم في سبيل عملية تعليم وتعلم العربية في هذه البلاد النائية عن مهد الثقافة العربية ، وذلك لكي يتسنى لهم إيجاد حلول لها في المستقبل .

بدأت الدورة بتلاوة آي من الذكر الحكيم ، رحب فيها البروفيسور ظفر أحمد النظامي مدير كلية هيئة التدريس بالمشاركين ، وقام كاتب السطور بتعريف البرامج ، وألقى البروفيسور سيد ضياء الحسن الندوي رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالجامعة ضوءاً على جدوى هذه الدورة وأهميتها التربوية في مجال التدريس ، وفي الجلسة اللاحقة تكرم الإمام الأكبر شيخ الأزهر الدكتور محمد سيد الطنطاوي -الذي كان يزور الهند رسمياً في ذلك الوقت- بمقابلة المدرسين والقائمين على الدورة واستمع إلى فعاليات المدرسين في مجال نشر وترويج اللغة العربية في أرجاء هذه البلاد على أوسع نطاق .

وأعرب الضيف الكريم عن إعجابه وتقديره البالغين وتقديم بإهداء مصحفه المفسر إلى مكتبة الجامعة العامة ، كما تفضلت سعادة السفيرة المصرية السيدة جيلان علام بإهداء كتب قيمة إلى نفس المكتبة .

أما بالنسبة إلى الموضوعات التي تطرق إليها الخبراء في غضون هذه المدة ودارت حولها المناقشات فإنها كالآتي :

الشعر العربي الحديث - للبروفيسور محمد سليمان أشرف ، وتأثر الشعر العربي بالشعر الإنجليزي - للبروفيسور محمد سليمان أشرف ، ودور القصة في تعليم وتعلم اللغة العربية - للدكتور شفيق أحمد خان الندوي ، تطور المسرحية في الأدب العربي الحديث - للدكتور محمد أسلم الإصلاحي ، نجيب محفوظ ، روائياً - للبروفيسور بدر الدين الحافظ ، علم اللغة - للبروفيسور عبد الحق شجاعة علي ، علم البلاغة - للدكتور فيضان الله الفاروقي ، علم العروض - للدكتور فيضان الله الفاروقي ، فن الترجمة عبر العصور - للدكتور حبيب الله خان ، الترجمة نظرية وتطبيقاً - للأستاذ رفيع العماد فينان ، دقائق الترجمة العربية الإنجليزية - للبروفيسور زبير أحمد الفاروقي ، كيفية تدريس النحو والصرف - للدكتور محمد شفيق الرحمن ، بناء المناهج وطرق التدريس - ندوة تحدث فيها البروفيسور عبد الحليم الندوي ، والبروفيسور ك.م. محمد ، والدكتور تي.بي. محمد عبد الرشيد ، والدكتور شفيق الندوي ، طرق تعليم اللغات الأجنبية - للبروفيسور آر. بي. سريواستوا ، ملامح من الآداب العربية الهندية - للبروفيسور نثار أحمد الفاروقي ، إسهام العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسيني الندوي في اللغة العربية وأدبها - للدكتور محسن العثماني ، تكنولوجيا التعليم ووسائله الحديثة - للدكتور شفيق أحمد خان الندوي ، عظمة مهنة التدريس ومسئوليات المدرس - للبروفيسور ظهور محمد خان ، علم النفس التربوي : أهميته ودوره في التدريس - للدكتورة نجمة أمين ، تربية التلميذ من وجهة نظر إسلامية نفسية - للدكتورة نجمة

أمين ، شاعر الإسلام محمد إقبال والعالم العربي - للدكتور خليل الرحمن عبد الرحمن راز ، المسلمون في الهند خلفيتهم الثقافية والسياسية ومساهماتهم في الكفاح ضد الاستعمار من أجل الحصول على الاستقلال - البروفيسور ظفر أحمد النظامي ، خطورة التلوث البيئي - البروفيسور عبد المبين ، العلمانية : تطور وتاريخ - للبروفيسور دي. آر. غوثيل ، واقع التعليم والتربية في العالم العربي بالإشارة إلى جهود الشيخ عبد الحميد بن باديس التربوية في الجزائر - للأستاذ سعد بن العابد الجزائري ، مشكلات نواجهها في تعليم وتعلم العربية (ندوة تحدث فيها جميع المشاركين لمدة ١٠ دقائق أو أكثر) واستمرت ٦ ساعات كاملة ، تعريف بالمراجع اللغوية العربية - للدكتور محمد نعمان خان ، نظام الفهرسة الدولي للمكتبات - للبروفيسور شهاب الدين الأنصاري ، كيفية الاستفادة من المكتبات العامة - للأستاذ وي. ك. نندا ، ومنهجية البحث العلمي - للدكتور ظفر الإسلام خان ، وكيفية جمع المعلومات وكتابة المقالات والرسائل - للدكتور ظفر الإسلام خان ، والعناصر الهندية في الشعر العربي الحديث - للدكتور شيث محمد إسماعيل الأعظمي .

وعقد الحفل الختامي برئاسة رئيس قسم اللغة العربية وآدابها بالنيابة في الجامعة البروفيسور زبير أحمد الفاروقي وبحضور رئيس قسم العربية وآدابها الأسبق البروفيسور عبد الحليم الندوي اللذين تكرما بإلقاء كلمات تربوية نافعة لمدرسي العربية الوافدين من مختلف أرجاء البلاد ووجهها إليهم نصائح تربوية غالية ، وبالتالي فقد أوضح

منسق الدورة الدكتور شفيق أحمد خان الندوي مغزى هذه الدورات التربوي في عملية التعليم والتعلم ، وعبر المشاركون كذلك عن شعورهم بالارتياح والإعجاب شعراً ونثراً تجاه هذا البرنامج التربوي التدريبي الذي دام ثلاثة أسابيع بشكل منسق جميل .

والحمد لله الذي ينعمته تتم الصالحات ، وصلى الله على سيدنا ونبينا محمد وعلى آله وصحبه وأتباعه أجمعين .

إصدارات جديدة :

الروائع والبدائع في البيان النبوي

قلم الحرير

وصل إلينا كتاب : "الروائع والبدائع في البيان النبوي" للأستاذ محمد نعمان الدين الندوي أستاذ الأدب العربي بدار العلوم حيدرآباد ، ورئيس تحرير مجلة "الصحوة الإسلامية" الصادرة عنها بالعربية ، وقد أصدرته دار الصحوة للنشر بالقاهرة ، لصاحبها سعادة الدكتور عبد الحلیم عويس .

والكتاب باكورة عمل تألّفي للمؤلف ، قدم له سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسنی الندوي ، الذي عبر عن قيمة الكتاب فقال : "قد بحث (المؤلف) في هذا الكتاب عن آراء العلماء في هذا الموضوع وجوانب البحث ، وعرض النماذج المختلفة ولفت النظر إلى جوانبها الفنية والبلاغية في إطار واسع ، وفي أسلوب علمي نقدي رزين ، يطلع عليها قارئ هذا الكتاب عند مطالعته ودراسته لهذا

98/98

البحث ، وأصبح بذلك جديراً بأن يقدم إلى مراكز البحث والدراسة الأدبية ، والمجامع العلمية والمدارس والجامعات الدينية في شبه القارة الهندية ، والبلاد الإسلامية والعربية ، لعله يثير أذواق المدرسين والدارسين ، واتجاهاتهم على دراسة هذا الموضوع في إطار واسع ، وعلى مستوى علمي ونقدي رفيع ، وكفى به شهادة وشرفاً ونجاحاً وتوفيقاً لعمل بار مشكور ، وسعي علمي ديني مقبول .

ونحن إذ نهني المؤلف الكريم على هذا العمل الأدبي الجليل ندعو الله سبحانه وتعالى أن يكرمه بالتوفيق لمزيد من وضع كتب علمية وأدبية قيمة تعتبر زيادة طيبة في المكتبة الإسلامية - بإذن الله تعالى - .

إلى رحمة الله تعالى :

الشيخ حياة حسين الندوي في ذمة الله تعالى

في ٢٨/جمادى الآخرة عام ١٤١٧هـ - الموافق ١١/من شهر نوفمبر ١٩٩٦م .

انتقل إلى رحمة الله تعالى الشيخ حياة حسين الندوي مؤسس ومدير المدرسة الإسلامية في "كاتمندو" عاصمة دولة نيبال ، بعد مرض دام عليه مدة من الوقت ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

لقد كان المرحوم أحد الأبناء المتخرجين من جامعة ندوة العلماء القدامى ممن تخرجوا في الفترات السابقة ، وكان من تلاميذ سماحة العلامة الشيخ السيد أبي الحسن علي الحسنی الندوي ، وقد وفقه الله تعالى للقيام بمهمة التعليم والتربية وبتث الوعي الإسلامي في هذا البلد

99/99

الوثني ، وكان من حظه أن اختار المسجد الجامع القديم في العاصمة للإقامة والإمامة ، وتأسيس المدرسة بجواره ، وحالفه التوفيق بأداء واجبه الديني بحكمة وموعظة ، وكان دائم الاتصال بجامعة ندوة العلماء وسماحة العلامة الشيخ الندوي ، يزورهما فينة لأخرى ، وقد عرف المسلمون هناك عن طريقه ندوة العلماء ومكانتها العظيمة في تاريخ الهند العلمي والديني والأدبي ، فأرسلوا أبناءهم ليتلقوا فيها العلوم الإسلامية .

كان يتميز بالتواضع والصلاح ، والعمل الدؤب في صمت ، وقد مهد الطريق للتبادل العلمي والديني بين بلده وندوة العلماء ، وذلك بتوجيه أبناء المسلمين إليها للدراسة الدينية والثقافة الإسلامية ، وبالتالي تأسيس المدارس الإسلامية في أنحاء نيبال ، وقد تم بناء المسجد الجامع في "كاتمندو" من جديد بواسطة بعض المحسنين الكرام من الدول العربية في أيامه ، وتوسعة المدرسة الإسلامية فيها .

لقد عاش الشيخ حياة حسين ما عاش مبعلاً مكرماً ، كان الناس في كل مكان يتناولونه بالاحترام ويقدرّون مكانته وعمله ، استأثرت به رحمة الله تعالى عن عمر يناهز ٨٦ سنة ، وقد كان من المشتركين في مجلة "البعث الإسلامي" منذ أول عدد صدر لها في شهر ربيع الأول عام ١٣٧٥هـ .

جزى الله الفقيد على عمله الخيري العظيم ، وجعله مع النبيين والصديقين والشهداء والصالحين ، وحسن أولئك رفيقاً .